الفصل الرابع
المعرفة في فكر النورسي

obeikandl.com

المبحث الأول

ويتضمن على ما يلي:-

مدخل.

المعرفة لغة.

المعرفة في الاصطلاح القرآني.

معني لفظ المعرفة عند الفلاسفة المحدثين.

مفهوم المعرفة عند النورسي.

obeikandl.com

المعرفة في فكر النورسي

مدخل:

تنطلق رؤية الإسلام إلى العلم وعنايته بالمعرفة بمختلف أنواعها وتعدد مجالاتها وآفاقها من اهتمام الله تعالى وعنايته البالغة بتعلم البشر – منذ بدء الخليقة – جملة من العلوم وأصنافاً من المعارف التي تفي بحاجته، والتي لا تستقر الحياة بدونها، حاضراً ومستقبلاً، ليتمكن من تعمير الأرض والاستقرار فيها، وليطمئن من الخلافة فيها وإدارة شؤونها التي هي الوظيفة الأساسية والحكمة الكامنة من خلقه ووجوده في قيد الحياة .

وليكون أفضل مخلوقات الله تعالى وأشرفهم في هذا الوجود المتميز، وخير دليل على ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (١)

وهذا دليل على أن الإنسان ما فاز بالتشريف والخيرية والاستخلاف إلا بسبب ما تميز به عن سائر مخلوقات الله بالعلم والمعرفة .

بل إن العلم والمعرفة كانت من الأسباب التي جعلت الملائكة وهم أطهر مخلوقات الله تسجد لهذا الإنسان الخليفة المكرم .

وعلى هذه العناية بعث الله رسوله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليرفع راية العلم والمعرفة خفاقة بين الشعوب الإسلامية، مع محاربة الجهل والأمية والقضاء على التقليد الأعمى حتى يتلاشى ويندثر، فيبقى الناس على الحرية الكاملة في الفكر والاعتقاد .

ومصداقية هذا القول تتجلى في أول كلمات الوحي التي نزلت على الحبيب محمد وأستهل بها رسالته بكلمة " اقرأ " والتي تدعوا إلى العلم والمعرفة، وذلك في قوله تعالى { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } (٢)

فالإسلام يقرر أنه لا يمكن أن يسموا بالأمة إلى المستوى الأعلى والأرقى والانطلاق

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٣١).

(٢) سورة العلق: آية رقم (١-٣)

بهم إلى بلوغ الكمال إلا " بالعلم والمعرفة " وإعمال العقول وتشغيلها في النظر والتفكر الحر فيما أودع الله في هذا الكون البديع " [١]

ولقد ساد المسلمون الأوائل بفضل دعوة القرآن المعرفية لهم العالم كله، وشيدوا حضارة عظيمة ٠

ولكن شيئاً فشيئاً وبسبب البعد عن المصدر المعرفي الأول للمسلمين (القرآن الكريم) كان الانحطاط الحضاري والمعرفي في كثير من بلاد المسلمين ٠

" وذلك لأن واقع الجهل الذي ربطنا بديننا جعلنا نتمادى في الابتعاد عن مراميه البناءة حتى بات الدين غريباً بيننا ٠

ومما زاد الوضع تفاقما هو انحرافنا المعرفي عن أصول هذا الدين القويم " [٢]

هذا بالإضافة إلى تلوث المعرفة الإسلامية من الثقافات الأممية والكتابية نتيجة الفتوحات التوسعية واحتضان الأقوام الوافدة إلى حظيرة الدين الإسلامي واندماجها في البوتقة المعرفية الإسلامية " [٣]

ويبين النورسي أن جهلنا بحقائق الإسلام جعلنا نُدخل فيه من التعاليم والمفهوم ما ليس منه ٠

ويبين كيف شوه دخول الإسرائيليات وقسم من الفلسفة اليونانية الأفكار والحقائق التي جاء بها الإسلام ٠

لهذا فإن النورسي " يستغيث ألماً من حرقة فؤاده على تدني الأمة المعرفي"..

ويقول أيضاً: " لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإسلام ولبابه، وحصرنا النظر في قشرة

---

(١) داود عبد الكريم زكريا: عناية الإسلام بالعلم والمعرفة، ص١١، نقلاً من صحيفة الدعوة الإسلامية، العدد رقم (١١٢٢). بتصرف..

(٢) د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٣٢٠.

(٣)بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٠٤ وانظر: د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٣٢٤ ٠

الظاهري وأسأنا الفهم فأسأنا الأدب معه، وعجزنا عن أن نوفيه حقه حق الإيفاء، وما يستحقه من الاحترام، حتى رغب عنا ونفر منا وتستر بسحائب الأوهام والخيالات..

والحق معه، إذ نزلنا الإسرائيليات منزلة أصوله وأدخلنا الحكايات في عقائده ومزجنا مجازاته بحقائقه فبخسنا حقه فجازانا بالإذلال والسفالة في الدنيا "[1]

ولقد كان النورسي يتمزق ألماً من انحطاط ورثاثة مستوى المعرفة، الذي تلازمه الأمة في قرن الخوارق، وترديدها لمعارف وهمية تجاوزها الزمن، بحيث بات التمسك بها أو التوقف عندها وصمة عجز وجهل، لأنها معرفة محنطة تتجاوز بآثارها السيئة نطاق الأفراد لتطال الأمة وتسيء حتى للعقيدة.

من هنا كان النورسي يستنكر موقف التزمت الذي كان يقفه علماء حيال مسائل معرفية بت فيها العلم وحسم أمرها.

ولقد جاء استنكاره حمية للدين، وليس تظاهراً بالمعرفة لذات التظاهر، لأنه يريد للناطقين

بأسم الإسلام أن يكونوا على مستوى من الاستنارة، التي من شأنها ليس فقط تنوير الأمة ولكن شد الناس من الملل والنحل الأخرى إليها، تأثراً بمستوى الرشاد المعرفي الذي ينبغي أن يتجمل به المسلمون، لأن طبيعة عقيدتهم نيرة، وآخذة بمبادئ العقل.

ولقد كان رائده في هذا المجال شيخه الغزالي في تصويب الأفكار والقناعات ٠

فقد تصدى (النورسي) مثلاً لتسديد مسائل علمية، كانت عقول المسلمين تحرفها، وذلك حين راح يبث فتواه بين الناس والتي مفادها " أنه من أنكر أمراً ثابتاً بالبرهان القطعي ككروية الأرض بحجة الحفاظ على الدين فقد تجنى على الدين جناية عظمى، إذ

---

(١)بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٢٢. وانظر د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٣٢٠-٣٢١،

هذا ليس وفاء للإسلام بل خيانة له "[١]

ويرى النورسي أن التحجر المعرفي عندنا قد زاد من توسيع الهوة بين الدين الإسلامي وبين الأجانب، مما أدى إلى اعتقادهم بأن مبادئ الإسلام تتناقص مع حقائق العلم والمعرفة فيقول النورسي: " إن أهم الموانع والبلاء النازل هو توهمنا – نحن والأجانب – بخيال باطل وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم ٠

فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها ٠

نعم: إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا وحرم الأجانب من سعادة الآخرة وحجب شمس الإسلام وكسفها هو: سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم ٠

وهذا الفهم الخطأ أوصد أبواب المدنية والمعرفة في وجه الأكراد وأمثالهم "[٢] حيث حرم الأكراد من العلوم والمعارف ٠

ونظراً " لتدني العلوم في المدارس الدينية، فقد حرم الأكراد من العلوم والمعارف لعدم معرفتهم باللغة التركية، ولعدم معرفة معلميهم باللغة المحلية ٠

لذا لا يجدون أمامهم سوى الانخراط في المدارس الدينية طريقاً للمعرفة، مما يسبب شماتة الغرب لتفشي الجهل وحدوث الاضطرابات وانتشار الشبهات والأوهام فيما بينهم.

لهذا سعى النورسي إلى تدريس العلوم الدينية مع العلوم الحديثة الضرورية، وذلك لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوربية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة تحت مظلة مدرسة الزهراء على غرار الأزهر الشريف.

ويجمل النورسي بعضاً من فوائد وثمرات هذه المدرسة ومنها:-

- اقتحام المعرفة عن طريق " المدرسة " إلى كردستان، لفتح طريق لجريان العلوم

---

(١)بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٧٠ وانظر. د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٣٣٤-٣٣٥،

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص٥٠٦.

الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية.

- وإظهار محاسن " المشروطية " و " الحرية " والاستفادة منها "[١]

وبجانب سعي النورسي لنشر المعرفة، فإنه يستنهض الأمة الإسلامية أن " يحفروا بالفكر الملي في جوف الأمة حوضاً للمعرفة " [٢]

وذلك لأن " مستقبل الإسلام وآسيا يكمن في قوة الإسلام الحقيقية المدعمة بالمعرفة والمدنية " [٣]

وإذا " سأل أحد بم تقوم المدنية ؟

فالجواب: على المعرفة والصناعة والتجارة .

وإذا سأل: بم تدوم البشرية وتبقى ؟

فالجواب: بالعلم والعمل " [٤]

ثم يبرز النورسي للأمة الإسلامية سؤالاً يستفز به القوى الكامنة في النفوس، ويستنفر هممهم وعزيمتهم، ولكي يبين أنهم ليسو أقل شأناً من الأمم الأخرى، بل الأفضلية لنا إذا نهلنا من منبع المعرفة الموحى به من السماء، فيقول: " لماذا تكون الدنيا ميدان تقدم وترق للجميع وتكون لنا وحدنا ميدان تأخر وتدن " [٥]

مع " أن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتيمها كقوله تعالى (فاعلموا.. فاعلم.. أفلا تعقلون... أفلم ينظروا... أفلا يتذكرون... أفلا يتدبرون... فاعتبروا يا أولي الأبصار...)

وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري فهي تسأل:

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٩٧- ٥١٠. باختصار.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤١٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٥.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٧٤.

(٥) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١١٤.

لم تتركون العلم وتختارون طريق الجهل ؟

لم تعصبون عيونكم وتتعامون عن رؤية الحق ؟

ما الذي جعلكم على الجنون وانتم عقلاء ؟

أي شيء منعكم من التفكر والتدبر في أحداث الحياة ؟ " [١]

" فقطار الزمن لا ينتظر من يتخلف عنه بل يمضي في طريقه لا يلوي على شيء ويترك من وراءه من المتخلفين

لقد هز النورسي بدعوته للمعرفة من أجل امتلاك ناصية العلوم، وهدم جدران الجهل المطبق بظلامه على عقول المسلمين، وناشدهم الاجتهاد في علوم العصر كاجتهادهم في علوم الدين، لأن كليهما – أي الدين والعلوم الحديثة – وجهان لعملة إلهية واحدة " [٢]

لقد كان النورسي على وعي وإدراك بضرورة اليقظة المعرفية للمسلمين، وخاصة بعد سقوط الخلافة وقيام الجمهورية، وذلك لصد الغش الثقافي والمعرفة المشوشة الوافدة والمتلبسة بثوب العلمانية ٠

هذه العلمانية التي جاءت لمحو وطمس كل معرفة إسلامية، وأخذت تتلص في الظلام كالخفافيش بين العقول، وخاصة عقول الناشئة لطرح المعرفة الإلحادية والمادية بمصطلحات ومفاهيم نتج عنها أفكار عنصرية ٠

كل هذا لإزالة كل معرفة إيمانية تتصل بالمصدر المعرفي الأول للمسلمين (القرآن) وهذا لعدم ارتقاء الإنسان لمعرفة خالقه، وطمس إنسانيته في مستنقع الإلحاد والمادة ٠

ولعل ما يؤكد هذا، هو ما ذكره النورسي في كتابه " الكلمات "، حيث يقول:

" جاءني فريق من طلاب الثانوية في " قسطمونى " قائلين:

عرفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا ٠

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٩٥.

(٢)أديب الدباغ: مطارحات المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص١٧، مركز الكتاب، القاهرة،١٩٩٧م.

فقلت لهم: إن كل علم من العلوم التي تقرؤنها يبحث عن الله دوماً، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة، فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين "[1]

بل لقد وصل الأمر في طمس كل معرفة إيمانية إلى حد أن دائرة معارف " الحياة " التركية الرسمية، الإعلان عن إنكارها أي معرفة بالله أو وجوده ٠

ولعل الاقتباس التالي يوضح الجو المعرفي السائد آنذاك:

" إن الفكرة التي تريد الأديان الموجودة حالياً أن تبينها هي: أن الله واحد، وأنه هو الذي خلق الكون، ولكن التقدم العلمي بدأ يوضح شيئاً فشيئاً بأن هذه الفكرة باطلة، وأنه لا وجود لشيء أسمه الله (وللأسف الشديد، فقد انتشرت هذه الفكرة حتى بين أوساط المثقفين) ٠

ولعل هذا الطرح كان الغرض منه إيجاد معرفة مادية لا ترتكز على الأخلاق أو الدين لكي تكون بديلة عن المعرفة الإيمانية الأخلاقية ٠

وهذا الطرح الجديد للمعرفة سخرت له السلطة كل إمكانياتها ومقوماتها وأدواتها من أجل قطع ومسخ وبتر أواصر أي معرفة لها صلة بالعقيدة الإسلامية، وتنشئة الجيل الجديد على ذلك ٠

ومما يؤكد ذلك ما ذكره الكاتب التركي " عثمان يوكيسل " وهو يخاطب نفسه في كتابه " كيف أفسدوا جيلاً كاملاً " فيقول:- " في أحد الأيام وأنا في المدرسة الابتدائية، التفت إلينا المعلم مستفسراً ٠٠ ؟

أيها الصغار ٠٠ ما رأيكم ٠٠ هل هناك شيء اسمه الله ؟

واحتار الطلاب أمام هذا السؤال الذي لم يسمعوه ولم يفكروا به سابقاً، وقد ألجمهم الصمت والذعر ٠٠ ولكن لم أسكت، بل صرخت: نعم ٠٠ يوجد ٠

فضحك المعلم وهو يقول: لا يوجد مثل هذا الشيء أيها الصغار، فهذه حكايات

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١٧٥ ٠

العجائز وهو كذب، فازدادت حيرة واضطراب الطلاب ... حكايات .. عجائز .. وهو كذب .

وبدأو يفكرون في " الغيلان " التي يسمعون عنها في الأساطير، فهل كان الله غولاً ؟ حاشا لله ثم بدأ المعلم الحديث مرة أخرى قائلاً: أيها الصغار أهتفوا جميعاً وبصوت واحد:

أعطنا الحلوى يارب.. وهتف الصغار: أعطنا الحلوى يارب .. فلم يرد أي جواب .

ثم قال المعلم: والآن أهتفوا .. أعطنا الحلوى يا معلمنا .. فهتف الصغار: أعطنا الحلوى يا معلمنا .. ابتسم المعلم ابتسامة صفراء، واستدار مخرجاً بعض الحلوى من جيبه وقام بتوزيعها علي الصغار الذين كانوا يراقبون المعلم بنظرات وجلة حائرة .

ولم يكن أحد منهم قد استوعب بعد معنى ما حدث، كان صمت عميق يسود الصف، فالكل ينتظر ويتشوق لمعرفة ما آل إليه الأمر .

ثم علا صوت المعلم ثانياً: كما ترون أيها الصغار، فأن الله غير معروف وغير موجود فلو كان موجوداً لعرفتموه ورأيتموه كما رأيتموني .

لقد هتفتم طالبين الحلوى منه فلم يسمعكم ولم يجلبها لكم، وطلبتم الحلوى مني فجلبتها إليكم وذلك لأنني موجود وانتم موجودون، فنحن نعطى ونحن نأخذ .

وهنا قذفت الحلوى بوجهه صارخاً: أنت كافر ... فلطمني المعلم على وجهي .

وفي يوم آخر، قام المعلم بتعليق صورة شخص يلبس قبعة على رأسه (مثل قبعة المعلم) على السبورة السوداء قائلاً: هذا هو إلهنا، فهذا نعرفه ونراه بأعيننا ونستطيع لمسه بأيدينا هذا هو " مصطفى كمال " الذي أنقذنا وأوجدنا من العدم "[1]

ولعل هذا المدخل له من الأهمية (من وجهة نظري) في تحديد بوصلة الاتجاه المعرفي عند النورسي .

---

(١) أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، ص ١٣٥، ١٣٩، سوزلر، القاهرة. بتصرف.

والسؤال الذي يطرح نفسه على ساحة البحث، وهو:- ما هو مفهوم المعرفة عند النورسي..؟

هذا ما سنجيب عليه في الصفحات التالية من هذا البحث...

obeikandl.com

مفهوم المعرفة في فكر النورسي

بداية يحسن بنا أن نبدأ بتعريف تحليلي للفظة " المعرفة " تمشياً مع ما يقتضية التأصيل العلمي وتستدعيه قواعد البحث.

المعرفة في اللغة:

ورد في معجم اللغة العربية (المعجم الوجيز) في باب العين (وهو الحرف الثامن عشر من حروف الهجاء) لفظ معرفة، ومنها قولهم:

" (عَرَفَ) الشيء – عِرفَانا، ومعرفة: أي أدركه بحاسةٍ من حواسه •

ويقال: عرف لله فضله، أي نعمه وإحسانه، فهو عارف وعَروف

(عرف) – عَرَافَةً: صار عالماً بالشيء أو قيماً عليه.

(عرف) الحجاج: وقفوا بعرفات •

وفي القرآن الكريم: [ويدخلهم الجنة عرفها لهم]

وعليهم عرفياً: أقامه ليعرف شئونهم...و(اعترف) بالشيء: أقربه

(تعرف، وتعارفوا): عرف بعضهم بعضاً.

(التعرف): تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة.

(التعريفه): قائمة تحدد أثمان السلع وأجور العمل أو رسوم النقل.

(العراف): المنجم

(العُرف): المعروف، وهو خلاف النكر، و: ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم. و–: لحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك.

(المَعرُوف): كل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع، وهو خلاف المنكر.

: والصنيعة يسديها المرء إلى غيره "[١].

(١) معجم اللغة العربية " المعجم الوجيز ": ص٤١٥، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة،١٩٩٢م.

obeikandl.com

المعرفة في الاصطلاح القرآني

لم يرد لفظ " المعرفة " في القرآن الكريم، ولكن وردت له اشتقاقات كثيرة:

- فجاء بصيغة الماضي: كما في قوله تعالى { تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ } (١)

وجاء بصيغة الفعل المضارع: كما في قوله تعالى {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا...} (٢)

قد ذكر الحسين بن محمد المعروف بالراغب " الأصفهاني" ت: (٥٠٢هـ) أن معنى " المعرفة " في هاتين الآيتين: (إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره)

وجاءت في القرآن – أيضاً – صيغة " عرف " بمعنى: بين، واعلم، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ} (٣)

وصيغة أعترف بمعنى أقره: كما في قوله تعالى {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ } (٤)

وكذلك " المعروف " وهو: ما عرف حسنه بالعقل أو الشرع، كما في قوله تعالى {وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ} (٥)

و" العرف " بمعنى المعروف كما في قوله تعالى {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } (٦)

وبمعنى " التتابع " كما في قوله تعالى {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} (٧)

وعليه: فإن " المعرفة " في القرآن إذا جاءت فعلاً صادراً من الإنسان تعني: إدراكاً لشيء بتفكر وتدبر لأثره.

---

(١) سورة المائدة:آية رقم(٨٣)

(٢) سورة النحل:آية رقم(٨٣)

(٣) سورة التحريم:آية رقم(٣)

(٤) سورة التوبة:آية رقم(١٠٢)

(٥) سورة البقرة:آية رقم(٢٤١)

(٦) سورة الأعراف:آية رقم(١٩٩)

(٧) سورة المرسلات:آية رقم(١)

وإلى هذا المعنى تعود معاني المشتقات الأخرى المشار إليها، عدا الصيغة الأخيرة، الذي

يعود إلى المعنى اللغوي " التتابع "[١]

" وبما أن لفظة " العلم " مرتبطة إرتباطاً كبيراً بلفظة " المعرفة " حتى لتبدوان مترادفتين، أو متداخلتين، خصوصاً وعموماً .

ذلك لأن أكثر العلماء المسلمين يركزون في بحثهم مسائل نظرية " المعرفة " على كلمة " العلم " أكثر من كلمة " المعرفة " .

لذا سأتناول الفرق بينهما من جهة " اللفظ " ومن جهة " المعنى "[٢]

" وقد بين " ابن القيم "[٣] جوانب الفرق بين العلم والمعرفة في القرآن، نذكر منها:

١-الفرق اللفظي: حيث يقع فعل المعرفة على مفعول واحد: قال تعالى: {وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}[٤] .

بينما يقتضي فعل العلم مفعولين، كقوله تعالى: { فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ }[٥].

فإن وقع على مفعول واحد كان بمعنى " المعرفة " كما في قوله تعالى: { وَآخَرِينَ مِن

---

(١) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص١٢، دار المحمدية، ١٩٨٠، وانظر كذلك، د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٣٨-٣٩، المؤيد، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، ١٩٩٢م

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص١٢، وانظر كذلك، د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٣٥.

(٣) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر، أحد تلاميذ ابن تيميه الأعلام، الذين تناولوا مختلف العلوم الإسلامية ت (٧٥١هـ) انظر شذرات الذهب (٦/ ١٦٨) وكذلك الأعلام (٦/ ٥٦) نقلاً من مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي.

(٤) سورة يوسف: آية رقم (٥٨)

(٥) سورة الممتحنه: آية رقم (١٠)

دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ }[١] .

فالمعرفة أخص من العلم .

ويقال يعرف الله.. ولا يقال يعلم الله، متعدياً إلى مفعول واحد، لما كانت معرفة البشر هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته.

ويقال: الله يعلم كذا... ولا يقال: يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر.

٢-الفرق من جهة المعنى:

أما الفرق من جهة المعنى فمن وجوه:

أحدهما: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحوال الشيء .

فتقول: عرفت أباك وعلمته صالحاً .

ولذلك جاء الأمر في القرآن الكريم بالعلم دون المعرفة، كما في قوله تعالى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } [٢]

فالمعرفة: حضور صورة الشيء، والعلم حضور أحوال الشيء وصفاته.

والمعرفة: تشبه التصور، والعلم: يشبه التصديق "[٣]،[٤]

ثانيهما: " أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل عرفة .

---

(١) سورة الأنفال: آية رقم (٦٠)

(٢) سورة محمد:آية رقم(١٩)

(٣) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص١٢، وانظر كذلك، د / عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٤١.

(٤) التصور: حصول صورة الشيء في العقل، والتصديق: حكم بالنسبة بين طرفين. انظر علي الجرجاني: التعريفات (٥٩)، المعجم الفلسفي (١/ ٢٧٧) نقلاً من د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، مصادر المعرفة، ص٤٢.

أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رأه وعلم أنه الموصوف بها قيل: عرفة ..

فمن الأولى كما في قوله تعالى: {وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}[1].

ومن الثاني: كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ}[2] فالمعرفة نسبة الذكر في النفس، وهو حضور ما كان غائباً عن المذاكر.

ولهذا كان ضد المعرفة الإنكار، وضد العلم الجهل، قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا}[3]

ثالثها: أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به غيره.

رابعها: أنك إذا قلت: علمت محمداً، لم تفد المخاطب شيئاً، لأنه ينتظر أن تخبره على أي حال علمته، فإذا قلت: كريماً أو شجاعاً حصلت له الفائدة.

وإذا قلت: عرفت محمداً، استفاد المخاطب أنك أثبته وميزته عن غيره، ولم يبق أن ينتظر شيئاً آخر.

خامسها: أن المعرفة علم يعين الشيء مفصلاً عما سواه، بخلاف العلم.. فإنه يتعلق بالشيء مجملاً"[4]

معنى لفظ المعرفة عند الفلاسفة المحدثين:

" أما لدى الفلاسفة المحدثين، فإن لفظ المعرفة: يطلق على أربعة معان:

أولها: الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن.

---

(١) سورة يوسف: آية رقم (٥٨)

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٤٦)

(٣) سورة النحل: آية رقم (٨٣)

(٤) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام، ص١٢، وانظر، د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي مصادر المعرفة، ص٤٢.

الثاني: الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع، بحيث تكون المعرفة محيطة موضوعياً بكل ما هو موجود للشيء في الواقع.

الثالث: مضمون المعرفة بالمعنى الأول.

الرابع: مضمون المعرفة بالمعنى الثاني.

فالمعنيان الأخيران: نتيجة للمعنيين الأولين .

ومن هذا قولهم: المعارف الإنسانية، قاصدين بها نتيجة تلك الجهود التي بذلها العقل البشري في مختلف جوانب الحياة.

أما المعنيان الأولان: فيمثلان درجتين في المعرفة هما: التصور والتصديق (وقد سبق وأن عرضنا ما ذكره " ابن القيم " في تفريقه بين معني العلم والمعرفة، حيث جعل المعرفة تصوراً، والعلم تصديقاً ")[1]

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٤٤- ٤٥.

oberikandl.com

المعرفة عند النورسي

إن البحث في مفهوم المعرفة هو بحث في عمق الإنسان واقعاً وتاريخاً، إذ أن هذا المفهوم هو الذي تأسست عليه إنسانية الإنسان منذ وجد وظل ملازماً له وسيظل، ولذلك حظي بالعناية سواء على مستوى الوحي النازل، أو على مستوى الدراسات والتأملات البشرية المختلفة "[١]

والنورسي كان يرى أن قضية المعرفة من أهم القضايا المركزية في رؤيته التجديدية ٠

وقد اتضح وتأكد عنده أن معالجتها هي المدخل الطبيعي لإعادة التوازن إلى شخصية الأمة ونفض الركام الذي غطى حقيقتها وشوهها وجعلها مثار سخرية لأعداء الدين ٠

وفي هذا السياق كانت جهوده قائمة على بيان وتوضيح وتأسيس مفهوم المعرفة وبيان أبعاده العظيمة.

ومن خلال بعض النصوص المستخلصه والمستخرجة من رسائل النور نستطيع أن نقف على مفهوم المعرفة عند النورسي، وجميعها لا تخرج عن نطاق " معرفة الله.

بل إن النورسي يؤكد أن " أساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو " معرفة الله "، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا "[٢]

" فالمعرفة في اصطلاح النورسي ليست مجردة في الخيال ولا محلقة في الهواء بدون معنى بل تأخذ دلالة محددة من خلال إضافتها إلى الله تعالى، فتصبح مصطلحاً قائماً بنفسه له دلالته الخاصة، وعلاقاته في النسق الذي يحتويه.

وبعبارة أخرى: فإن المعرفة الحقة لا تخرج عنده عن معرفة الله تعالى " [٣]

" ويحرص النورسي على تجلية مفهوم المعرفة بمعناه الإيماني الذي يورده القرآن الكريم

---

(١) أ.د/ مصطفى فوضيل: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص٣٠٩، المؤتمر العالمي الخامس للنورسي، البحوث العربية،٢٠٠٢ م.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٣٥٥.

(٣) أ.د/ مصطفى فوضيل: النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، مؤتمر، ص ٣١٢.

ويخاطب به الإنسان باعتباره مخلوقاً مكرماً متميزاً باستعدادات هائلة للتلقي والاستيعاب "[١] وذلك لحل إشكالية المسلم المعاصر، حيث يطرحها من خلال السؤال الآتي:

كيف يمكن للمسلم أن " يعرف بإيمان "...؟

وأن " يؤمن بمعرفة "...؟

ويسؤال أكثر وضوحاً: كيف يستطيع أن يجعل من " الإيمان " طريقاً إلى " المعرفة " ومن " المعرفة " طريقاً إلى " الإيمان " ؟ " [٢]

ولترسيخ هذا التلازم يؤكد النورسي " أن أسمى غاية للخلق وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية هو " الإيمان بالله " ٠

واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية هو " معرفة الله التي في ذلك الإيمان ".. واعلم أن أزهى سعادة للإنسان والجن وأحلى نعمة.. هو " محبة الله النابعة من تلك المعرفة "

وفي هذا النص يرسم النورسي موقع معرفة الله تعالى في بنية الحياة الإسلامية للإنسان والنص يقرر ضمنياً أنه لا يتصور " الإنسان في غياب أربعة أمور. ومنها:

غاية تعطى لوجوده معنى ٠٠٠ وموقع لائق في الكون ٠٠٠ وسعادة وطمأنينة تلبي حاجته الوجدانية ٠٠٠ ومتعه صافية تجيب الأشواق ٠

فهذه الأمور الأربعة مركوزة في فطرة الإنسان، وهي تستقي مضمونها الحقيقي من ماء الوحي النازل من عند الله تعالى، وتأخذ قوتها من الحبل الموصل به جل وعلا.

وبالتأمل في النص نجد لمفهوم المعرفة عند النورسي موقعاً خاصاً، حيث أنه لا يتصور إيمان بدون معرفه، كما لا يتصور معرفة إذا لم تنبع منها المحبة.

وقول النورسي " المعرفة التي في ذلك الإيمان " يقتضي الاندماج والامتزاج، حتى إنه

---

(١) أ.د/ مصطفى فوضيل: المرجع السابق نفسه، ص ٣١٢.

(٢) أديب الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص٤٠.

ليصعب رسم الحدود بينهما.

ومما يشهد لهذا: أنه لما سأل رسول الله ﷺ حارثه: كيف أصبحت يا حارثة ؟

قال أصبحت والله مؤمناً حقاً.

فقال عليه الصلاة والسلام: انظر ماذا تقول، فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟

فقال عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها.

فقال عليه الصلاة والسلام: عرفت فألزم.

فوصف نفسه بالإيمان، ووصف إيمانه لرسول الله، فنعت الرسول ﷺ إيمانه بالمعرفة فقال له عرفت... ولم يقل آمنت "[1]

" فكوني مؤمناً يلزمني أن أعرف، لأن المعرفة تقويني وتعلمني لماذا يجب أن أكون مؤمناً، وكوني أعرف بصدق وعمق، فإن معرفتي تغدوا درجات في سلم ارتقائي إلى معرفة أسمى، هي معرفة الله تعالى "[2]

ويقرر النورسي أن الغاية من خلق الإنسان هي معرفة الله وتحقيق العبودية، حيث يقول متأملاً في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[3]

يفهم من أسرار هذه الآية الجليلة: أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه هي: " معرفة خالق الكون سبحانه " و" الإيمان به " والقيام بعبادته.

كما أن وظيفة فطرته، وفريضة ذمته هي: معرفة الله والإيمان به والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعاناً ويقيناً "[4]

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٢٨٩. وانظر د/ مصطفى فوضيل: المرجع السابق، ص٣١٢، ٣١٣ بتصرف.

(٢) أديب الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص٤١-٤٢.

(٣) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦)

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٣٥.

ويقرر في مقام آخر: " أن المقصد من القرآن ليس درس تاريخ البشرية بل نزل لتدريس معرفة الصانع "[١]

ومما سبق يتضح أن مفهوم المعرفة عند النورسي لا تتجاوز المعرفة بالله ولا تتعداها باعتبارها أسمى المعارف ومنبع جميع المعارف، وهي ممزوجة ومتداخلة بالإيمان بالله، بحيث لا يمكن الفصل بينهما.

و" هذه المعرفة الإيمانية التي رسم " النورسي " ملامحها وخط حدودها ووضح مفهومها منبثقة من فهمه لقوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }[٢]

فهو يرى في ضوء هذه الآية العظيمة أن ما من معرفة مما تتبادلها العقول فيما بينها إلا وترجع في أصولها الأولى إلى واحدة من المعارف الثلاث الآتية:-

١- معرفة كونية: تشمل علوم ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

٢- معرفة إنسانية: تشمل الكينونة الإنسانية وكل ما يتعلق بالإنسان فرداً ونوعاً ظاهراً وباطناً.

٣- معرفة إلهية: ترتبط بوجود الله تعالى وبربوبيته وشئونه في خلقه .

وهذه المعارف الثلاث متلازمة، يلازم بعضها بعضاً، ويسند بعضها بعضاً، ويدل بعضها

على بعض، وهي في تعاشق دائم لا ينقطع، فليس ثمة معرفة منفردة ومستقلة ومنعزلة في هذا العالم.

وهذه المعارف الثلاث تمثل زوايا مثلث متساوي الأضلاع، تقوم قاعدته في أحد طرفيها على " المعرفة الكونية " وعلى " المعرفة الإنسانية " في طرفها الأخر، بينما تعلو قمته

---

(١) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص٢٢٥.

(٢) سورة فصلت: آية رقم (٥٣)

" المعرفة الإلهية ".

وعندما نقرأ المثلث من أي رأس فيه، فيمكن أن نرقى بقرأتنا من القاعدة إلى القمة أو ننزل من القمة إلى القاعدة •

أي: إما أن تكون معرفة الكون والإنسان طريقنا إلى الإيمان، أو يكون الإيمان طريقنا إلى معرفة الكون والإنسان، فمن أية واحدة منها يبدأ عقلنا رحلته المعرفية فإنه سينتهي لا محال إلى المعرفتين الأخريين •

فكأن الثلاثة تشكل معرفة واحدة كما تشكل أضلاع المثلث جسماً هندسياً واحداً "[1]

أي أن هذه المعارف الثلاث هي درجات لترقي الإنسان ليصعد على سلم المعرفة إلى الله.

(١) أديب الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص٤١-٤٢.

المبحث الثاني

ويتضمن على ما يلي:-

موقف النورسي من المعرفة الكلامية والصوفية.

موقف النورسي من المعرفة الفلسفية.

obeikandl.com

موقف النورسي من المعرفة الكلامية والصوفية.

يشترك النورسي مع الأئمة الذين نقدوا علم الكلام من أمثال الإمام أحمد بن حنبل والغزالي وابن رشد وابن تيمية وابن قيم الجوزي وجلال الدين الرومي، وغيرهم من العلماء والمفكرين والصوفية الذين شككوا في قيمة الكلام كمنهج يقود إلى اليقين.

فالغزالي يرى أن الطريق إلى حقائق المعرفة عن هذا الوجه (أي علم الكلام) مسدود. ويقول الغزالي أيضاً: فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة "[1]

والنورسي يعلن صراحة تفضيله لمسلك القرآن الكريم في الوصول إلى معرفة الله تعالى وذلك لعجز المسالك الأخرى في الوصول إلى اليقين وإلى معرفة الله، فيقول:-

" إن العروج إلى عرش الكمالات وهو معرفة الله -جل جلاله- أربعة:-

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله، وأشمله لبني الإنسان "[2]

---

(١) أ.د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص٢٤٠-٢٤١، استانبول، نقلا من أبو حامد الغزال: احياء علوم الدين، ج١، ص٨٦-٢٠-٢١، مطبعة الاستقامة، القاهرة،بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص١٢٣،١٢٢.

فالنورسي يرى من خلال هذا النص " أن معرفة الله المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي ٠

في حين أن تلك المعرفة متى كانت علي نهج القرآن الكريم المعجز تصبح معرفة تامة وتكسب الاطمئنان الكامل في القلب.

ثم إن معرفة الله التي استقاها الرازي من علم الكلام كما تبدوا ناقصة في نظر أبن عربي

فإن المعرفة الناتجة من طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة ٠

ذلك لأن ابن عربي يقول: " لا موجود إلا هو " لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله سبحانه وتعالى حتى وصل به الأمر إلى إنكار وجود الكائنات ٠

أما الآخرون فلأجل الحصول على الحضور القلبي أيضاً قالوا:" لا مشهود إلا هو " وألقوا ستار النسيان المطلق علي الكائنات، وأتخذوا طوراً عجيبا ٠

بينما المعرفة المستقاة من القران الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم ٠

فضلاً عن أنها لا تقضى على الكائنات بالعدم، ولا تسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية، وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية.

ولقد شبهنا – في كلمات أخرى من رسائل النور لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم – ذلك المنهج الأقوم، والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال هو:–

أنه لأجل الحصول على الماء، هناك من يأتي به بواسطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبال، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا ويفجرونه أينما كانوا ٠

فالأول سير في طريق وعر وطويل، والماء معرض فيه للانقطاع والشحة ٠

بينما الذين هم أهل لحفر الآبار فإنهم يجدون الماء أينما حلوا دونما صعوبة ومتاعب •

فعلماء الكلام يقطعون سلسة الأسباب بإثبات استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم ومن بعده يثبتون وجود واجد الوجود "[١]

والنورسي يعرض من خلال هذا المثال، أن نهج علماء الكلام في الوصول إلى معرفة الله طويلة وصعبه، ويشبهها " بمن يحفرون عيوناً في سفوح جبال بعيدة ليأتوا منها بالماء إلى أقصى العالم بواسطة أنابيب – أي سلسلة الأسباب – ثم يقطعون تلك السلسة هناك، فيثبتون وجود واجب الوجود، والمعرفة الإلهية التي هي كالماء الباعث للحياة •

أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم، فأنه يجد الماء في كل مكان، ويحفره أينما كان، فكل آية من آياته كعصا موسى تستطيع أن تفجر الماء أينما ضربت، وتستقرئ كل شيء القاعدة الآية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

أي أن آيات القرآن تفتح من كل شيء نافذة تدل على الصانع الجليل وتعرفه "[٢]

وهنا نجد النورسي يتفق مع ما ذهب إليه " ابن رشد "[٣] في نقده للمتكلمين عامه وللأشاعرة على وجه الخصوص في استدلالاتهم على وجود الله تعالى •

حيث سلكوا في ذلك طرقاً صعبة وغير يقينية، فيقول:

" فقد تبين لك من هذا كله – أي بعد استعراضه لأدلة الأشاعرة – أن الطرق المشهورة

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٢٥، وانظر الكلمات، ص٥١٤-٥١٥، وانظر إحسان قاسم الصالحي: النورسي حياته وآثاره، ص١٩٩-٢٠٠.

(٣) ابن رشد هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ولد عام (٥٢٠هـ - ١١٢٦م) وتوفي عام (٥٩٥هـ-١١٩٨م) جمع بين الفلسفة وشرح كتب أرسطو، إنه يعد فليسوفاً وطبيباً وفقيها، من مؤلفاته " بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه " و " فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال " و " مناهج الأدلة في عقائد الملة " و " وتهافت التهافت " انظر أ.د/ عاطف العراقي: الفلسفة العربية مدخل نقدي، ص٢٠٨-٢٣٢،لونجمان،القاهرة،٢٠٠٣

للأشاعرة في السلوك إلى معرفة الله سبحانه ليست طرقاً نظرية يقينية، ولا طرقاً شرعية يقينية، وذلك ظاهر لمن تأمل أجناس الأدلة المنبهة في الكتاب العزيز على هذا المعنى أعني بمعرفة وجود الصانع، وذلك أن الطرق الشرعية إذا تؤملت وجدت في الأكثر قد جمعت وصفين:-

أحدهما: أن تكون يقينية ٠

والثانية: أن تكون بسيطة غير مركبة، أعني قليلة المقدمات، فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأول "[١]

ويرى النورسي أيضاً أن المنهج الكلامي (وخاصة المعتزلة) يتجه إلى عقل الإنسان دون جوانبه (اللطائف) الأخرى، مما يجعل المعرفة الناشئة عنه معرفة: باردة لا تضبط السلوك ولا تدفع إلى العمل ٠

" لأن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء ٠

كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم فإن كل لطيفة من لطائف الجسم – كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها- تأخذ منها وتمصها بحسب درجاتها فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذائها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة وتظل تلك اللطيفة شرومة منها "[٢]

" وبهذا فالنورسي يقدم قراءة نقدية " لنهج المعرفة " كما هو في علم الكلام جاعلاً من موقف ابن عربي من ذلك العلم ونقده لأحد أعلامة (الرازي) مدخلاً له ٠

---

(١) ماجد فخري: ابن رشد فليسوف قرطبة: ص٢٠٣-٢٠٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، وانظر أيضاً: محمد بيصار، الوجود والخلود في فلسفة ابن رشد: ص٦٠-٦١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٧٣، وانظر توافق ابن رشد مع ما قاله النورسي في الكلمات، ص ٢٦٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٢٦.

غير أنه يعود على ابن عربي نفسه بالنقد، باعتباره نموذجاً للمتصوفة الذين يمثلون طريقاً آخر مختلفاً تمام الاختلاف عن طريق المتكلمين.

فهو يأخذ على طريق المتكلمين إفتقارهما إلى أمرين أساسيين:

- التمام المعرفي ٠
- والطمأنينة القلبية ٠

ويأخذ على طريقة المتصوفة غلوها في إنكار أو نسيان الكائنات سعياً منها إلى تحقيق الحضور القلبي الدائم، وهذه الطريقة، وإن حققت قدراً كبيراً من الأساس الثاني الذي هو طمأنينة القلب، إلا أنها فرطت في قدر كبير من تمام المعرفة.

والنورسي في نقده لهاتين الطريقتين يستند إلى الوحي مسلطاً ضوءه الوهاج عليهما ٠

ويؤكد على أن طريق المنهج القرآني هو الأقوم للمعرفة "[1]

(١) أ.د/ مصطفى فوضيل، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص٠ ٣٣٠-٣٣١.

موقف النورسي من المعرفة الفلسفية.

" أما بالنسبة للفلسفة، فالذي لا شك فيه أن النورسي تجاوز الأخذ بالمعرفة الفلسفية (المادية) التي لا تتوافق مع المعرفة القرآنية.

ذلك لأنه ينطلق من ضرورة تأصيل المعرفة النيرة وأسلمتها والتي منبعها القرآن ذلك الكتاب المصون، الذي يلزم من الأمة أن تضعه في صدارة منطلقاتها المعرفية.

وهذه الرؤية النورسية التأصيلية، هي رؤية تنادي على نحو أو بآخر، بالصفاء المعرفي أو بأصالة الروح والأسس التي ينبغي أن تتوفر للمعرفة الإسلامية.

إذ أن حقيقة الواقع المعرفي الذي ظل الغرب يعمل على ترسيخه انطلاقا من مبدأ أنجلة المعرفة وطبع المعارف مهما شذت بطابع الكتاب المقدس، مما نشأ ما يسمى بالمركزية المعرفية من هذا الاعتداد الغربي، الذي أعماه عن قول الحقيقة، وزاعماً أن معرفته ومنطقه هما الإطار الذي على كل ثقافة تريد أن تنطلق إلى العقلنة والوثوب الفكري أن تأخذ به.

من هنا ندرك أن النورسي يريد برؤيته الخلوص المعرفي الإسلامي، لأنه واثق من أن القرآن الكريم يتوفر لديه كافة المنطلقات المنتجة لبناء معرفة إسلامية تتجنب الوقوع في المادية والسببية الملآي بالترهات والأساطير، التي تزحزح الإيمان بالخالق من نفوس العباد وحلبة الكون "[1].

وهذا ما جعل النورسي يدعوا إلى " مشاهدة ثروة القران الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العالم والحكمة... وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل "[2]

ولعل دعوة النورسي إلى البحث والنظر في ثروة القرآن المعرفية، تتلاقى مع دعوة المفكرين المعاصرين ومنهم الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق، الذي بين دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي

---

(١) أ.د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٣٢١، ٣٢٢ بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١٥١.

كما بين أن توجيهات القرآن لا تقتصر على مجال الحياة الروحية للإنسان فقط، بل إنه يحتوى على كثير من الإشارات والتوجيهات الإلهية الهادية للإنسان في شتى مجالات المعرفة الإنسانية، وفي تنظيم أمور الحياة من جميع جوانبها الروحية والمادية، العقلية والتجريبية الفردية والاجتماعية، وبصفة عامة ينطوي على تنظيم كل أمور الحياة الدينية والدنيوية ٠

ومن هنا يستطيع العقل الفلسفي المتأمل في آيات القرآن الكريم أن يستخرج منها أصول المعرفة بالحقائق الكبرى المتمثلة في الله والكون والقيم ٠

كما يستطيع أن يستخرج منها أيضاً أصول تنظيم الحياة العملية وتشكيل الأخلاق ٠

وبالإضافة إلى ذلك يجد في القرآن الكريم منهجاً قوياً لتحصيل المعرفة الحسية والمعرفة العقلية وإذا استطاع العقل الفلسفي المسلم أن يصل إلى تحقيق هذه الغاية فإن في وسعه حينئذ أن يتحدث عن فلسفة الإسلام أو الفلسفة القرآنية ٠

ولكن اتجاه التفلسف الإسلامي في مراحله المختلفة لم يستطع - في الأعم الأغلب - أن يستخرج لنا فلسفة الإسلام على هذا النحو، وإنما أخرج لنا فلسفة تقوم على أصول بشرية، وحاول التوفيق بينها وبين الإسلام، وقد كان ذلك هو الطابع العام والغالب على الفلسفة الإسلامية ٠

ويذكر أستاذنا: أن من بين الاستثناءات الجديرة بالذكر في هذا الصدد، تلك المحاولة الرائدة والعميقة التي قام بها الدكتور " محمد عبد الله دراز " في دراسته القيمة: " دستور الأخلاق في القرآن " والتي انصبت على نظرية قرآنية متكاملة في الأخلاق "[1]

وهذا يبين أن القرآن ثروة معرفية واسعة، وهو الطريق الآمن للوصول إلى أي معرفة يقينية ومنها معرفة الله ٠

أما الطرق الأخرى فإنها غير مأمونة العواقب، وقد تؤدى إلى الانزلاق في هاوية الكفر والضلال، وهذا ما حذر منه النورسي بقوله:

---

(١) د/ راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص٦، ٧، المؤيد، السعودية، ١٩٩٢م بتصرف ٠

" إن عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذي أوقع متعلمي الفلسفة وملة الكفر والنفس الأمارة في الضلالة الرهيبة "[١]

وعلى هذا فالنورسي يرفض ما يسمي بالمعرفة المتولدة من " الفلسفة " الضالة المضلة، تلك التي أصبحت وسيلة للتردي والإيقاع في مهاوي الإلحاد والسقوط في المستنقع الآسن للفكر الوضعي الطبيعي، تلك الفلسفة التي تسوق الإنسان إلى الحتف بما تورثه إياه من دواعي الغفلة والضلالة، حيث أنها تعارض بخوارقها- التي هي كالسحر- الحقائق المعجزة للقرآن الكريم "[٢]

ومن ذلك يتبين أن النورسي بمناهضته المعرفة الفلسفية المادية والوضعية الغربية إنما يدعوا صراحة إلى بناء نوع من المركزية المعرفية الإسلامية، القائمة على التزاوج العقلي والروحي، البريء من تفسخات الطرح الغربي.

ولكن رغم هذا فأن النورسي لم يلغ دور الفلسفة الحديثة في مضمار البناء المعرفي والحضاري ولا يسد باب التلاقح الفكري والتفاعل المعرفي، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها "[٣]

لذا نلحظ أن النورسي يستثنى الجوانب البناءة التي تمكنت الفلسفة الحديثة من أن تدشنها لاسيما تلك التي تتماس مع الحقيقة العلمية والعقلية، وهو ما يجعلها تتلاقى مع تحفيزات القرآن العظيم، التي تنوه بالعقل وتدعوه إلى توخي الموضوعية ونشدان الحقيقة.

لهذا يقول النورسي: "إن الفلسفة القديمة خيرها قليل وخرافاتها كثيرة، حتى نهى السلف - إلى حد ما- عنها، حيث الأذهان كانت غير مستعدة، والأفكار مقيدة بالتقليد، والجهل مستوليا على العوام .

بينما الفلسفة الحاضرة خيرها كثير- من جهة المادة- بالنسبة للقديمة، وكذبها وباطلها

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٨٦.

(٣) أ.د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص٢٥٢، وأنظر ص٣٢٢ بتصرف.

قليل والأفكار حرة في الوقت الحاضر، والمعرفة مسيطرة على الجميع "

وفي الحقيقة لا بد أن يكون لكل زمان حكمه... وهو ما يجعل من أذى الفلسفة بهذه المواصفات محدوداً، لأنها تشتمل على حقائق تخدم الإنسان، وذلك هدف من أهداف الإسلام "[1]

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٠،وأنظر د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن ص٢٥٢،٢٥٣.

obeikandl.com

المبحث الثالث

ويشمل على الموضوعات التالية:-

أقسام المعرفة.

مراتب المعرفة.

نوافذ لمعرفة الله.

خصائص المعرفة.

المعرفة تكليف وتشريف.

أصل المعرفة.

غايات المعرفة.

إمكان المعرفة.

obeikandl.com

أقسام المعرفة

يقسم النورسي العلوم من جهة تأثرها بتلاحق الأفكار وتراكم المعلومات إلى قسمين:-

١- قسم من العلوم هو كرفع الصخر، بحاجة إلى التعاون وتلاحق الأفكار، وأغلب هذا القسم هو من العلوم المادية.

٢- وقسم تكمله دفعي أو شبيه الدفعي، وأغلب هذا القسم هو من المعنويات ومن العلوم الإلهية ولكن على الرغم من أن تلاحق الأفكار لا يغير ماهية هذا القسم الثاني ولا يكمله ولا يزيده إلا أنه يفيض وضوحا وظهوراً وقوة في مسالك براهينه "[١]

ويقسمه من جهة أخرى إلى نظري وضروري وكسبي، ويشير في هذا المقام إشارة لطيفة إلى أهمية النظر في التصور الإسلامي، وأنه مقصود في التكليف فيقول:

"إن إظهار الخوارق ما هو إلا تصديق النبوة، والتصديق يحصل على أكمل وجه بمعجزاته الظاهرة، فإذا زادت عن الحاجة ... فإما أن تكون عبثاً.. أو منافية لسر التكليف الذي هو امتحان في الأمور النظرية دون البديهيات أو ما يقرب منها، حيث يتساوى الأدنى مع الأعلى، أو تكون مخالفة للتسليم والانقياد لجريان الحكمة "[٢]

ثم يبين النورسي في معرض حديثه عن سبب تدني علوم المدارس الدينية إلى تقسيم العلوم التحصيلية إلى: ١- العلوم الآلية ٢- العلوم العالية.

فيقول: " إن العلوم الآلية[٣] لما أدرجت في عداد العلوم المقصودة، أصاب الإهمال العلوم العالية إذ سيطر على الأذهان حل العبارة العربية التي لبأسها (لفظها) في حكم معناها وظل العلم الذي هو أصل القصد تبعياً.

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٣٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٦٥،٦٦، وأنظر، مصطفى فوضيل، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص٣٢٢.

(٣) العلوم الآلية: كالنحو والصرف والمنطق وأمثالها من العلوم التي تكون وسيلة لفهم العلوم العالية التي هي كالتفسير والحديث والفقه وأمثالها من العلوم، أنظر صيقل الإسلام، ص٦٧.

زد على ذلك أن الكتب التي أصبحت في سلسة التحصيل العلمي رسمية، وعباراتها متداولة إلى حد ما، هذه الكتب حصرت الأوقات والأفكار في نفسها ولم تفسح المجال للخروج منها "[١]

وفي "الشعاعات" يقسم النورسي المعرفة من حيث الوصول والحصول عليها إلى:

١- معرفة غيابية ٢- ومعرفة حضورية.

فيقول: " إن السائح الذي أتى إلى الدنيا وبحث عن خالقها صعد في ثماني عشرة مرتبة وبلغ عرش الحقيقة بمعراج إيماني، فأرتقى من مقام " المعرفة الغيابية" إلى مقام الحضور والمخاطبة (أي المعرفة الحضورية) فخاطب هذا الولوع المشتاق روحه قائلاً:-

إن الحمد والثناء الغيابيين من بدء سورة الفاتحة إلى كلمة " إياك " يورثان طمأنينة تصعد بالإنسان وترقيه إلى مرتبة المخاطبة بـ " إياك " ٠

فعلينا إذاً أن نسأل من نبحث عنه منه مباشرة، وندع البحث الغيابي عنه، إذ ينبغي السؤال عن الشمس- التي تنور كل شيء- من الشمس نفسها، لأن الذي يظهر كل شيء ويوضحه لا شك أنه يظهر نفسه أكثر من كل شيء ٠

لذا فكما يمكننا أن نرى الشمس ونتعرف عليها من أشعتها وضيائها، يمكننا أيضاً أن نسعى - حسب قابليتنا- في التعرف على خالقنا سبحانه وتعالى من تجليات أسمائه الحسنى ومن أنوار صفاته الجليلة "[٢]

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٦٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٨٦.

مراتب المعرفة

يشير النورسي في " الباب الرابع من اللمعة التاسعة والعشرون" إلى ثلاث وستين مرتبة من مراتب معرفة الله وتوحيده سبحانه، متخذاً ورداً مهماً ومشهوراً لسيدنا الخضر عليه السلام كمبدأ وأساس لهذا الورد ٠

علماً أن كل مرتبة من المراتب الثلاث والستين عبارة عن جملتين:

فكلمة " لا إله إلا الله " تثبت الوحدانية ٠

كما أن الأسماء التي تبدأ بـ " هو" تثبت وجود واجب الوجود ٠

فعندنا تشير الجملة الأولى إلى الوحدانية، يخطر بالبال سؤال مقدر، كأن يقال:

ومن هو الواحد ؟ وكيف نعرفه ؟

فيكون جوابه: هو الرحمن الرحيم... مثلاً.

أي أن آثار الشفقة والرحمة التي تملأ الكون كله تعرف ذلك الرحمن وتدل عليه.

وهكذا قس على الباقي "[1]

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٤٨٩، ٥٠٠

نوافذ لمعرفة الله

يقرر النورسي أن "المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم فضلاً عن أنها لا تقضي على الكائنات بالعدم، ولا تسجنها سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الإهمال والعبثية، وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس المعرفة الإلهية، وتفتح في كل شيء " نافذة إلى المعرفة الإلهية "[1]

ثم يبين النورسي أن الله سبحانه وتعالى " وضع في ثنايا (الآفاق والأنفس) قوانينه الكلية ودساتيره العامة من الإحسانات الخاصة والإغاثات الخاصة والتجليات الخاصة ما يمكن كل شيء أن يتوجه إليه سبحانه في كل حين، ويسأله كل ما يحتاجه •

وفتح من كل منزل، ومن كل طبقة، ومن كل عالم، ومن كل طائفة، ومن كل فرد، ومن كل شيء نوافذ تتطلع إليه وتظهره •

أي تبين وجوده الحق ووحدانيته، فأودع في كل قلب هاتفٌ يتصل به.

ويؤكد النورسي أن النوافذ التي تجول بالإنسان في آفاق الإيمان، وتتصل به إلى مدارج الرقي في المعرفة الإلهية لا تعد ولا تحصى ولا طاقة له بالبحث في جميع هذه النوافذ •

لهذا فإنه اكتفى بالإشارة إلى ثلاث وثلاثين نافذة منها، تألفت من لمعات القرآن الكريم فأصبحت " الكلمة الثالثة والثلاثين " أو " المكتوب الثالث والثلاثين ".

ثم يبين النورسي في نهاية " الكلمة الثالثة والثلاثون " أن الغاية من هذه النوافذ أن تكون زاداً لمن لا إيمان له، فيدعوه إلى حظيرة الإيمان.

- ويشد من إيمان الذي يجد في إيمانه ضعفاً فيقويه.

- ويجعل الإيمان القوى التقليدي إيماناً تحقيقاً راسخاً.

- ويوسع من آفاق الإيمان التحقيقي الراسخ.

- ويهب لمن كان إيمانه واسعاً مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٢٥.

الحقيقي، ويفتح أمامه مشاهد أكثر نورانية وأشد سطوعاً "[١]

خصائص المعرفة

من هذه الخصائص:-

١- توجهها إلى الله تعالى، الذي له الكمال المطلق التام، وله الأسماء الحسنى، " إن لكل كمال وعلم وتقدم وفن حقيقة سامية تستند إلى اسم من أسماء الله الحسنى، وفي هذا الاستناد يجد كل منها كماله، ويصبح حقيقية فعلاً، وإلا فهو ظل باهت ناقص مبتور مشوش "[٢]

٢- هذه الأسماء تتضمن صفات معرفة بالخالق جل جلاله ٠

وكما أنها تعرف بالذات العلية، فهي تعرف بتجلياتها في كل ما سواه من الموجودات إذ هي داخلة ضمن أفعاله جل وعلا ٠

" بل إن كل ما ناله الإنسان – من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات – من الكمال العلمي والتقدم الفني، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا} ٠

وهذا التعبير ينطوي على رمز رفيع ودقيق، وهو: أن لكل كمال ولكل علم ولكل تقدم ولكل فن – أياً كان – حقيقية سامية عالية، وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى وباستنادها إلى ذلك الاسم – الذي له حجب مختلفة وتجليات متنوعة ودوائر ظهور متباينة – يجد ذلك الاسم والفن والكمال والصنعة وكماله ويصبح حقيقة فعلاً، وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش. "[٣]

٣- توجهها إلى الكمال الإنساني بانسجامها مع خصائص الذات العارفة – وذلك بمراعاة حاجاتها التابعة لتكوينها البديع ٠

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمة الثالثة والثلاثون، الكلمات، ص ٧٨٢-٨٣٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٢٩٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: مرشد أهل القرآن، ترجمة إحسان قاسم، ص٥٧، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

فالإنسان " جُبل على محبة غير متناهية لخالق الكون، وذلك لأن الفطرة البشرية تكن حباً للجمال، ووداً بالكمال، وافتناناً بالإحسان، وتتزايد المحبة بحسب درجات الجمال والكمال والإحسان حتى تصل إلى أقصى درجات العشق ومنتهاه.

نعم.. إن في القلب الصغير لهذا الإنسان يستقر عشق بكبر الكون، إذ أن نقل محتويات ما في مكتبة كبيرة من كتب وخزنها في القوة الحافظة للقلب – وهي بحجم حبة عدس – يبين أن قلب الإنسان يمكنه أن يضم الكون، ويستطيع أن يحمل حباً بقدر الكون.

فما دامت الفطرة البشرية تملك استعداداً غير محدود للمحبة تجاه الإحسان والجمال والكمال وأن لخالق الكون جمالاً مقدساً غير متناه ثبوته متحقق بداهة بآثاره الظاهرة في الكائنات.. وأن له كمالاً قدسياً لا حدود له ثبوته متحقق ضرورة بنقوش صنعته الظاهرة في الموجودات.. وأن له إحساناً غير محدود وثابت الوجود يقيناً، يمكن لمسه ومشاهدته ضمن إنعامه وآلائه الظاهرة في جميع أنواع الأحياء..

فلابد أنه سبحانه يطلب محبة لا حد لها من الإنسان الذي هو أجمع ذوي الشعور صفة وأكثرهم حاجة، وأعظمهم تفكراً، وأشدهم شوقاً إليه "[1]

وكما أن " الإنسان عالم صغير، كذلك العالم إنسان كبير.

فهذا الإنسان يمثل خلاصة الإنسان الكبير وفهرسته، فالنماذج المصغرة في الإنسان لابد أن أصولها الكبيرة المعظمة موجودة في الإنسان الأكبر بالضرورة.

فمثلاً: إن وجود القوة الحافظة في الإنسان دليل قطعي على وجود اللوح المحفوظ في العالم "[2]

ويصطلح النورسي على هذا الاتساع في الإنسان بعبارة " جامعية الإنسان " التي لأجلها يُشعر (الحي القيوم) الإنسان بجميع أسمائه الحسنى، ويعرفه بجميع أنواع إحسانه،

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٩٠، ٩١.

(٢) بديع الزمان النورسي: المرجع السابق، ص١٢٧.

ويذوقه طعوم آلائه، فجعله سبحانه مركز الكون ومحوراً له، بل سخر الكون له، فمد أمامه سفرة عظيمة عظم الكون لتتلذذ أنواع معداته المادية والمعنوية "[1]

إن " جامعية استعداد الإنسان " تخبرنا بأن البشر ثمرة شجرة الخلقة، فيكون أكمل وأبعد فوجهه الشفاف متوجه إلى الظلمة وفضاء العدم الذي هو باطن الدنيا •

وما في جامعية الاستعداد من قابلية العبادة تخبرنا بأن الإنسان ما خلق هكذا ليكون منكوس الرأس يخلد إلى الفاني•

بل قابلية العبادة لصرف وجهه الشفاف من الظلمة إلى النور، ومن فضاء العدم إلى الوجود ومن المنتهى إلى المبتدأ، ومن الفاني إلى الباقي، ومن الخلق إلى الحق •

كأن العبادة حلقة اتصال بين المنتهي والمبدأ في دائرة الخليقة، فتشهد الفطرة بهذا اللسان على وجوب وجود من خلق الخلق ليُعرف، وخلق الجن والإنسان ليُعبد "[2]

ويدقق النورسي في تحليل المكونات المعنوية للإنسان، فيفصلها ويوضحها إلى ما أسماه اللطائف•

وهو يرى " أن هناك لطائف كثيرة مندرجة في ماهية الإنسان الجامعة، وفي استعداده للحياة إلا أن عشراً منها قد اشتهرت، حتى أن الحكماء والعلماء الظاهريين أيضاً قد جعلوا تلك اللطائف العشر أساساً لحكمتهم في صورة أخرى •

حيث قالوا إن الحواس الخمس الظاهرة نوافذ أو نماذج لحواس خمس باطنه، حتى أن ما أشتهر لدى العوام والخواص من لطائف الإنسان العشر منسجمة مع اللطائف العشر لدى أرباب الطرق الصوفية•

فمثلاً: الوجدان والأعصاب والحس والعقل والهوى وألقوه الشهوية والقوة الغضبية، إذا ما ألحقت هذه اللطائف بالقلب والروح والسر تظهر اللطائف العشر في صورة أخرى وهناك لطائف أخرى كثيرة غير هذه اللطائف، أمثال السائقة والشائقة، الحس قبل الوقوع

---

(١) بديع الزمان النورسي: المرجع السابق، ص٥٩٣، ٥٩٤.

(٢) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص١٢١.

"[١]

" وقد أودع البارئ سبحانه في ماهيتك أجهزة ولطائف معنوية دقيقة، إذا ابتلع بعضها الدنيا فلا يشبع، ويضيق بعضها ذرعاً عن ذرة ولا يتحمل شعيرة، كالعين التي لا تتحمل شعرة، والرأس الذي يتحمل أثقالاً هائلة ٠

فتلك اللطيفة لا تتحمل ثقلاً كالشعرة الدقيقة، أي لا تتحمل حالة هينة جداً نشأت من الضلالة ونجمت من الغفلة، بل قد تنطفئ جذوتها وتموت ٠

فاحذر وخفف الوطء وخف من الغرق، فيغرق معك ألطف لطائفك التي تبتلع الدنيا في أكلة أو كلمة، أو لمعة، أو إشارة، أو بقلة، أو قبلة ٠

فهناك أشياء صغيرة جداً تتمكن – في جهة – أن تستوعب ما هو ضخم جداً ٠

فانظر إن شئت كيف تغرق السماء بنجومها في مرآة صغيرة، وكيف كتب الحق سبحانه في خردلة حافظتك أكثر ما في صحيفة أعمالك وأغلب ما في صحائف أعمارك ٠

فسبحانه من قادر قيوم " [٢]

ونستطيع أن نستخلص مفهوم الاكتمال في المعرفة والاطمئنان القلبي الناتج عنه من قوله: " إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم، إذا ما دخل معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم– كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها – تأخذ منها وتمصها بحسب درجاتها فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها " [٣]

فكمال المعرفة يكمن في مدى تلبيتها لحاجات الإنسان الإيمانية بحسب مكونات بنيته

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٧١-٢٠٧.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٢٠٧.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٤٢٤-٤٢٦.

الداخلية فيكون تعريف الكمال هنا بالمآل ٠

أي بما تؤول إليه كل معلومة وكل جزئية معرفية في علاقتها بمواقعها التي تستقبلها وتقع فيها.

ونحن نقرأ وراء سطور النورسي أنه ما دام الجانب الغائب في بنية الإنسان متسع الأرجاء فسيح الأفاق، عميق الأغوار، متداخل العلاقات، فإنه لا يتصور منهج يستطيع ارتيادها جميعاً إلا إذا كان ذا طبيعة خاصة، وهي الإحاطة ٠

وهذه الخصوصية مستحيلة في الإنسان، فإذا كانت الروح- وهي لطيفة واحدة من اللطائف التي ذكرها النورسي – كما قال تعالى:- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}(١) فكيف بسائر اللطائف الأخرى ؟

إن الإحاطة شرط ضروري في هذا المقام، وإن الروح من أمر الله جل وعلا، وإن القرآن من أمر الله أيضاً، {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} (٢)

وقد شبه النورسي القرآن بالماء مراراً، فلا شك أن الماء الدفاق النافع، والروح المخترق الدافئ يتسرب إلى جزء من أجزاء الإنسان ليبله ويرويه بالحياة ٠

وهذا يدلنا إلى أن القرآن الكريم بطبيعته الربانية هو المؤهل الوحيد لتغذية اللطائف الإنسانية فهو غذاء مكتمل بتناوله، حيث تأخذ كل لطيفة حظها منه.

ومن وجوه الكمال هنا أن ما يميز الإنسان عن الحيوان " شمول علاقته بالماضي والمستقبل وكلية إدراكه بالأنفس والآفاق.. وكشفه لترتب العلل الظاهرية في إنشاء الأشياء الظاهرية فأعظم وظيفته وأقدمها، وأتم جهازاته وألزمها التسبيح والتحميد بالجهاز المخلوق لها.

وبسر مشاهدته لتسبيحات المخلوقات وشهادته عليها يثنى على صانع الأشياء بقراءة

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٨٥)

(٢) سورة الشورى: آية رقم (٥٢)

أسمائه المكتوبة بالترتيب والترتب في حكمة صنع الأشياء "[١]

٤- النزوع إلى الأبد ٠

" ألا ترى أن فيك لطيفة لا ترضى إلا بالأبد والأبدي، ولا تتوجه إلا إلى ذلك الخالد ولا تتنزل لما سواه ؟ حتى إذا أعطيت لها الدنيا كلها فلا تطمأن تلك الحاجة الفطرية..

تلك هي سلطان لطائفك ومشاعرك، فأطع سلطان لطائفك المطيع لأمر فاطره الحكيم جل جلاله، وأنج بنفسك.." [٢]

إن الإنسان " هو أعظم معجزات القدرة الصمدانية، بل هو أعجوبة الخلق لما انطوى فيه العالم الأكبر، ولما تشهد جميع أجهزته بأنه مخلوق للسير قدماً نحو الأبدية والخلود " [٣]

" أجل إن الإنسان مخلوق للأبد، فإنما تحصل له اللذة الحقيقية في الأمور الأبدية كالمعرفة الإلهية والمحبة والكمال والعلم وأمثالها " [٤]

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص٣٣٨.
(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٧٤.
(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٢٧٣.
(٤) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص١٩٦.

obeikandl.com

المعرفة تكليف وتشريف

يتجلى مما سبق أن المعرفة تأخذ أبعاداً ضخمة جداً، وقيمة عظيمة في حياة الإنسان وتصبح بمنظار الحكمة في حقه تكليفاً، وبمنظار الرحمة في صالحه تشريفاً ٠

" نعم إن هذا الإنسان.. الذي أنيط به – من بين جميع المخلوقات – مهام عظيمة، وزود باستعدادات فطرية كاملة، وإن لم يعرف ربه بالإيمان بعد أن عرف سبحانه نفسه إليه بمخلوقاته البديعة المنتظمة.

وإن لم ينل محبته بالتقرب إليه بالعبادة بعد أن تحبب إليه سبحانه بنفسه، وعرفها إليه بما خلق له من الثمار المتنوعة الجميلة الدالة على رحمته الواسعة.

وإن لم يقم بالتوقير والإجلال اللائقين به بالشكر والحمد بعد أن أظهر سبحانه محبته له ورحمته عليه بنعمه الكثيرة.

نعم٠٠ إن لم يعرف هذا الإنسان ربه هكذا، فكيف يترك سدى دون جزاء ؟ ودون أن يعد له ذو العزة والجلال دار العقاب ؟ وهل من الممكن أن لا يمنح ذلك الرب الرحيم دار ثوابه وسعادة أبدية لأولئك المؤمنين الذين قابلوا تعريف ذاته سبحانه لهم بمعرفتهم إياه بالإيمان، ومحبته لهم بالحب، والتحبب له بالعبادة، ورحمته لهم بالإجلال والتوقير له بالشكر "[1]

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٧.

أصل المعرفة

" إن القرآن الكريم يتميز في أول قضية يعرضها فيتحدث عن الوجود والمعرفة ويجعلهما دائرين حول مفهوم الخالقية والمخلوقية "[١]

ومن هنا يأتي التعليم والمعرفة إثر الخلق، يقول النورسي في شرحه لقول الله تعالى:

{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}[٢] أي صورة بفطرة تضمنت مبادئ أنواع الكمالات، وخلقه باستعدادات (معرفية) وزرع فيه أنواع المعالي، وجهزه بالحواس العشر، وبوجدان تتمثل فيه الموجودات، وأعده بهذه الثلاث لتعلم حقائق الأشياء بأنواعها، ثم علمه الأسماء كلها "[٣]

---

(١) د/ راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص٤٢٩، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. بتصرف.

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٣١).

(٣) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص٢٤١.

obeikandl.com

غايات المعرفة

يحرص النورسي على تجلية المعرفة بمعناها الإيماني الذي يورده القرآن الكريم ويخاطب به الإنسان باعتباره مخلوقاً مكرماً متميزاً باستعدادات هائلة للتلقي والاستيعاب، ومن هنا تتحد غاية المعرفة العميقة والنهائية في تحقيق العبودية لله تعالى.

هذه الغاية هي التي تعطى للإنسان معنى في الوجود ممتداً في الماضي البعيد مع قصة آدم، ومتواصلاً مع المستقبل بيقينه القوى في الآخرة ٠

يقول النورسي وهو يتأمل في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[١]

" يفهم من إسرار هذه الآية الجليلة أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه هي: معرفة خالق الكون سبحانه والإيمان به والقيام بعبادته ٠

كما أن وظيفة فطرته وفريضة ذمته هي معرفة الله والإيمان به، والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعاناً ويقيناً...

نعم، هذا الإنسان الضعيف الذي ينشد فطرة الحياة الدائمة الخالدة والعيش الأبدي الرغيد والذي له آمال بلا حدود وآلام بلا نهاية، لا بد أن تكون جميع الأشياء والكمالات هابطة بالنسبة إليه، بل ليس لأكثرها أية قيمة تذكر ما عدا الإيمان بالله ومعرفته، وما عدا الوسائل التي تأخذ بيده إلى ذلك الإيمان الذي هو أس الأساس لتلك الحياة الأبدية ومفتاحها "[٢]

والعبادة بهذه الدلالة الشمولية تتحقق بمختلف أنشطة الإنسان وحركاته وسكناته ٠

وهذا الحد لا يترك مجالاً لتسرب شبهة إهمال العلوم وأمر المعاش ومصالح العالم، إذ كل ذلك يأخذ موقعه النافع في نسق العبادة.

" فالمعرفة في فكر النورسي تعتبر ثمرة من ثمرات الإيمان بالله سبحانه وتعالى ونتيجة من أبر نتائج الاستقامة على الدين ٠

---

(١) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٣٥.

ولكن مع هذا لا يقف عند حد معرفة الله باعتبارها غاية الغايات كما وقف غيره من الفلاسفة والمتكلمين .

ولكن يقول على ما يترتب على معرفة الله من نتائج في حياة الإنسان والإنسانية، بأعتبارها قضية أساسية في حياة الإنسان لها آثارها في سلوكه وتوجهاته وأعماله وتفكيره وتقدمة ورقيه واستخلافه في الأرض "[1]

(١) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في فكر النورسي، ص٧٠-٧٥، باختصار، مركز الكتاب للنشر، ط١، القاهرة ١٩٩٩م. بتصرف.

obeikandl.com

إمكان المعرفة

الإمكان: عدم اقتضاء الشيء الوجود والعدم، بحيث يكون في حالة بين الامتناع والوجوب.

والبحث في إمكان المعرفة يعني: الإجابة عن هذا السؤال: هل في وسع الإنسان أن يعرف شيئاً؟

ومسألة إمكان المعرفة أولى مسائل البحث في موضوع المعرفة، إذ البحث في المسائل الأخرى – مصادر وطرق... إلخ – يقوم على حكم قد انتهى إليه الباحث – قبلاً – بأن المعرفة ممكنة للإنسان، وهذا الحكم يتمثل في مذهب يقابله مذهب المنكر لإمكانها.

فقد انقسم الناس حيال هذه المسألة فريقين:-

فريق أول يقول: بإمكان المعرفة، وهم الاعتقاديون أو أتباع مذهب التيقن.

وفريق آخر: ينكر قيام معرفة إنسانية، وهم أتباع مذهب الشك.

وينقسم الشك المتعلق بالمعرفة إلى قسمين:

شك مطلق: وهو ما يطلق عليه الشك الحقيقي الذي يبدأ صاحبه شاكاً وينتهي كذلك.

شك منهجي: وهو الذي يبدأ صاحبه شاكاً لينتهي إلى اليقين، فهو وسيلة يهدف منها الوصول إلى المعرفة الصادقة "[1]

" ولقد أظهر الإسلام موقفه من مسألة إمكان المعرفة، ويتجلى إيضاح هذا الموقف فيما يلي:

أولاً: وجود الأشياء:-

حيث خالف الإسلام مخالفة صريحة مذهب الشك في وجود الأشياء الذي يعتبر أن ما

---

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٥٩، ٦٣ بتصرف، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة المؤيد، السعودية، ص١، ١٩٩٢م.

يدركه الناس أوهاماً لا حقيقة لها.

فقد قرر الإسلام أن للأشياء وجوداً عينياً مستقلاً عما في الذهن، أدركه الإنسان أم عجز عن إدراكه .

ومن ثم: فإدراك الإنسان للأشياء لا يقتضي وجودها، وعدمه لا يقتضي عدمها.

وتنقسم الأشياء بالنسبة للإنسان إلى نوعين:

١- موجودات عالم الطبيعة: التي يسميها القرآن:" عالم الشهادة "

٢- وموجودات عالم ما وراء الطبيعة: والقرآن يسميها:" عالم الغيب "

وهذه المسألة واضحة في الإسلام، بحيث لم يمتر فيها بعد ذلك أحد من المسلمين حتى الذين تأثروا بالتراث الفلسفي اليوناني وتبنوا كثيراً من نظراته في الوجود، لم تكن هذه المسألة موضع بحث لديهم "[1]

ويقرر النورسي بوجود الأشياء من خلال تأكيده على: " أن ما أودع في الإنسان من غيوب إنما هي رموز ترمز وتومئ إلى غيوب ما وراء هذا العالم، وتؤكد حقيقة وجودها، وأن ما نتخيله من حدود وسدود بين عالمي الغيب والشهادة إنما هو وهم من جملة أوهامنا الكثيرة فالحقيقة أنهما متجاوران وستلامسان ومندرج أحدهما بالآخر، ومتفاعلان فيما بينهما في هدوء وخفاء غير منظور.

ويرى النورسي أن الإنسان يمثل العالم الأصغر الذي ينطوي على ما ينطوي عليه العالم الأكبر من المناقضات والأضداد، ففي وجوده عدم وفي عدمه وجود، وفي شهوده غيب وفي غيبه شهود، فالإنسان – في الحقيقة – غيب في هيكل شهودي ؟ فروحه غيب، وضميره غيب فالكشف عن الصلة القوية بين غيوب الإنسان وغيوب ما وراء هذا العالم يشكل جانباً مهماً من جوانب المعرفة الإيمانية.

ويرى النورسي كذلك أنه من أجل إيجاد الأشياء، فعلى الإنسان أن يستجمع كل

---

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٦٧.

طاقاته وأن يستنفر قوى " العقل، والحس والشعور والخيال والحدس " لتفتح له الطريق إليها، ولتكون رديفته في الفهم عنها وإدراك مراميها ومقاصدها ٠

فما من لطيفة من لطائف " النفس الإنسانية " إلا وقد أودعها الله تعالى في الإنسان لإعانته في الكشف عن حقائق عالمي الغيب والشهادة." (١)

ثانياً:- معرفة الأشياء:

" ومنهج الإسلام في هذا: أن بإمكان الإنسان معرفة كثير من الأشياء والموجودات إذا ما سلك السبل المؤدية إلى المعرفة ٠

وقد جاءت آيات القرآن الكثيرة تحث الإنسان على التفكر والتدبر والنظر من أجل معرفة الأشياء المبثوثة في الكون من حوله حتى يستفيد منها في حياته المادية ويستشعر عظمة خالقها ومدبرها ومجريها على سننها الثابتة.

وهذان الهدفان لا يمكن أن يتحقق شيء منها إلا من خلال معرفة هذه الأشياء، ولو لم تكن المعرفة ممكنة لكان الأمر بالنظر والتدبر والتفكر لغواً باطلاً ٠٠، والله منزه عن ذلك.

ولهذا كانت معرفة الموجودات – في الإسلام – ممكنة متهيئة، وعليه تواطأ العلماء "(٢) " ومنهم النورسي الذي بث في رسائله تأكيده وتقريره على منهج الإسلام بإمكان معرفة الأشياء والموجودات، وتذكيره بحث القرآن على التدبر والتفكر والنظر وبغيرها من السبل المؤدية إلى المعرفة " (٣)

ثالثاً:- الشك المنهجي – في ضوء الإسلام-:

" هذا الشك هو نقطة الانطلاق التي يبدأ الإنسان منها سيره العلمي، حيث يشك فيها بكل شيء مكوناً علومه بناءاً على اقتناع ذاتي بصحتها ٠

---

(١) أديب الدباغ: مطارحات المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص١٠/ ١٤، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٦٨-٦٩.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات،٥٦١-٥٦٢، وانظر صيقل الإسلام، ص٤٩٥.

وقد يكون هذا الشك صورياً مصطنعاً من قبل الشاك، كشك " ديكارت " ٠

وقد يكون واقعاً على المرء اضطراراً كشك " أبي حامد الغزالي " [١]

وإذا تحدثنا عن إمكان المعرفة عند النورسي بشيء من التوضيح، فأننا نرى أن النورسي ينظر إلى الإنسان من خلال نور القرآن الكريم باعتباره خليفة الله في الأرض، والمكلف بتعمير هذا الكون، وهو المخلوق المكرم المزود بطاقات هائلة ولطائف كثيرة أخصها العقل والقلب ٠

ورأينا كيف صارت المعرفة بالنسبة للإنسان مكلفاً بها لا مجرد ممكنة فقط ٠

ومن هنا يشن النورس هجومه على من أنكروا المعارف قائلاً:

" إن هؤلاء الفلاسفة الذين لم يتسن لهم النظر إلى الموجودات بنور القرآن المبين عندما نظروا إليها بمنظار " الطبيعة " و " الأسباب " توصلوا إلى أن وجود هذه الموجودات وأفتراض تشكلها بعوامل "الطبيعة "و"الأسباب " مسألة تطرح مشكلات عويصة بدرجة الإمتناع على غرار ما ذكرناه في بيان الاحتمالات ومحالاتها ٠

فانقسم هؤلاء الفلاسفة إذاء هذه العقبة الكأداء إلى قسمين:-

ـ قسم منهم صاروا سوفسطائين وعافوا العقل الذي هو خاصة الإنسان ، سقطوا إلى درك أدنى من الحيوانات، إذا وصل بهم أمر فكرهم إلى إنكار الوجود عموماً، بل حتى إنكار وجودهم وذلك عندما رأوا أن هذا الإنكار أجدي على العقل وأيسر عليه وأسلم من تصور " الطبيعة " و " الأسباب" مالكة لزمام الإيجاد، فأنكروا وجود أنفسهم ووجود الموجودات جميعاً، فسقطوا في هاوية الجهل المطلق.

ـ أما القسم الثاني: فقد نظروا إلى الموجودات أنها لو سلم إيجادها إلى " الأسباب" و" الطبيعة " كما هو شأن أهل الضلالة، فإن إيجاد شيء صغير جداً كالبعوضة والبذرة فيه من المشكلات مالا يحد، ويقتضي قدرة عظيمة لا يبلغ مداها العقل، فوجدوا أنفسهم مضطرين إلى إنكار " الإيجاد " نفسه ٠

---

(١) د/ عبد الرحمن بن زيد الزيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٦٩-٧٠.بتصرف.

فقالوا:" لا يستحدث شيء من العدم " ورأوا أن إعدام الشيء محال أيضاً فقرروا أنه " لا يفني الموجود " وتخيلوا جملة من الأوضاع الاعتبارية سارية ما بين تحليل وتركيب وتفريق وتجميع ناتجة عن حركات الذرات وسيل المصادفات " (١)

"فتأمل في هؤلاء الذين يظنون أنفسهم في ذروة العقل، قد سقطوا في حضيض من الحماقة والجهل، واعلم من هذا كيف تضع الضلالة هذا الإنسان المكرم حين يلغى إيمانه موضع سخرية وازدراء من كل أحد.

وبدورنا نسأل هؤلاء: ترى كيف يمكن استبعاد إيجاد شيء ما من القدرة المطلقة التي توجد على سطح الأرض في كل سنة أربعمائة ألف من الأحياء؟ والتي خلقت السماوات والأرض في ستة أيام؟

والتي تنشيء في كل ربيع تحت بصر الإنسان وسمعه على سطح الأرض كوناً حياً من النبات والحيوان هو أظهر إتقاناً وأجلى حكمة من الكون كله في ستة أسابيع؟

كيف يستبعد منها أن تخلق الموجودات العلمية – التي تعينت خططها ومقاديرها ضمن دائرة العلم الأزلي – فتخلقها بسهولة مطلقة ، سهولة إظهار الكتابة غير المنظورة بإمرار مادة كيماوية عليها •

فاستبعاد إضفاء الوجود الخارجي على الموجودات العلمية – والتي هي معدومات خارجياً – من تلك القدرة الأزلية، ثم إنكار الإيجاد نفسه، لهو حماقة وجهالة أشد من حماقة السوفسطائيين المعروفين وجهالتهم " (٢)

" إن مما ورط الظاهريين، بل السبب الأول الذي دفعهم إلى القلق والتردد، هو: إلتباس الإمكانات بالوقوعات والخلط بينهما، فيقولون مثلاً: إذا كان الشيء هكذا فهو ممكن في القدرة الإلهية، وهو أدل على عظمته تعالى في عقولنا، فهو إذاً واقع.

هيهات أيها المسكين: أين عقولكم من أن تكون مهندسة الكون ؟

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٢٩٧.

فأنتم عاجزون عن أن تحيطوا بالحسن الكلي بعقلكم الجزئي هذا، لو كان أنف بطول ذراع من ذهب ربما يستحسنه من حصر فيه النظر.

ثم إن الذي حيرهم هو توهمهم منافاة الإمكان الذاتي لليقين العلمي، فيتقربون إلى مذهب " اللاأدرية "[1] بترددهم وتشككهم في العلوم العادية اليقينية •

بل لا يخجلون، إذ يلزم مسلكهم هذا أن يتشكك الإنسان في أمور بديهية كوجود بحيرة " وان" وجبل " سبحان " لأن هذا ممكن في مسلكهم، أي تنقلب بحيرة " وان " إلى دبس، وينقلب جبل " سبحان " إلى عسل مغطى بالسكر..

أو أنهما يذهبان إلى بحر العدم، كقسم من أصدقائنا الذين لم يرضوا بكروية الأرض فسافروا فزلت أقدامهم، بمعنى: يلزم عدم التصديق بالحال السابقة للبحيرة والجبل.

أيها المحرومون من المنطق: أين أنتم ؟ تأملوا: فقد تقرر في علم المنطق: أن الوهميات التي في المحسوسات من البديهيات، فإن أنكرتم هذه البداهية، فليس لي إلا أن أقدم لكم التعازي بدل النصائح بموت العلوم العادية، بينما السفسطة قد بعثت لديكم.

البلاء الرابع: الذي شوش أهل الظاهر هو:- إلتباس الإمكان الوهمي بالإمكان العقلي

علماً: أن الإمكان الوهمي متولد من عرق التقليد لا من أساس، وهو الذي يولد السفسطة وحيث لا دليل له يفتح في البديهيات طريقاً إلى الشك والاحتمال والظن •

هذا الإمكان الوهمي غالباً ما ينتج من عدم المحاكمة العقلية، ومن ضعف عصبي قلبي ومن مرض عصبي عقلي، ومن عدم تصور الموضوع والمحمول•

بينما الإمكان العقلي هو تردد في أمر لا يظفر بديل قطعي على وجوده وعدمه ما لم يكن واجباً ولا ممتنعاً، فإن كان الإمكان ناشئاً عن دليل فهو مقبول، وإلا فلا إعتبار له.

ومن أحكام الإمكان الوهمي هذا: أن قسماً من المتشككين يقولون ربما لا يكون الأمر

---

(١) اللاأدرية: هم الذين ارتابوا، هل ما يدركون حقيقية أم هي أوهام، أنظر د/ عبد الرحمن بن زيد الزيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٦٨.

على ما أظهره البرهان، لأن العقل لا يستطيع أن يدرك كل شئ وعقلنا يعطى لنا هذا الإحتمال. نعم.. لا.. بل الذي يعطيكم هذا الإحتمال هو شكِكم ووهمكم، لأن العقل من شأنه المضي على برهان، صحيح أن العقل لا يتمكن أن يدرك ويوازن كل شيء ٠

ولكن هذه الماديات ولا سيما ما لا يفلت من البصر مهما كان صغيراً فإنه يزنه ويدركه، ولو لم نتمكن من دركه نكون في تلك المسألة غير مكلفين، كالأطفال "[١]

وإزاء هذا الإفراط في التردد والتشكك يقف النورسي عند مسالة الوساوس التي تُعرض للمؤمن ويضعها في سياقها الموضوعي الطبيعي ٠

فيبين أنها لا تضر ما دام الأساس مبنياً على اليقين، فيقول: " إن أخطر دسائس الشيطان هو أنه يلبس على بعض ذوي القلوب الصافية والحس المرهف: تخيل الكفر بتصديق الكفر ويظهر لهم تصور الضلالة تصديقاً للضلالة نفسها، ويجلب إلى خيالهم خواطر قبيحة في حق الأشخاص والأمور المنزهة المقدسة، ويوهمهم بالشك في بعض يقينيات الإيمان بجعل " الإمكان الذاتى " في صورة " الإمكان العقلي " ٠

وعندئذ يظن هذا المسكين المرهف الحس أنه قد هوى في الكفر والضلالة، ويتوهم أنه قد زال يقينه الإيمانى، فيقع في اليأس والقنوط، ويكون بيأسه هذا أضحوكة للشيطان الذي ينفث في يأسه القاتل، ويضرب دوماً على وتره الحساس، وينفخ في إلتباساته ويثيرها، فأما أن يخل بأعصابه وعقله، أو يدفعه إلى هاوية الضلالة "[٢]

وقد بحثنا في بعض الرسائل مدى تفاهة هذه الهمزات والوساوس، وكيف أنها لا سند لها ولا أساس، أما هنا فسنجملها بما يأتي:-

كما أن صورة الحية في المرآة لا تلدغ، وانعكاس النار فيها لا يحرق، وظل النجس فيها لا ينجس، كذلك ما ينعكس على مرآة الخيال أو الفكر من صور الكفر والشرك وظلال الضلالة وخيالات الكلمات النابية والشتم لا تفسد العقيدة واليقين، ولا يتغير الإيمان، ولا

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام،ص٨٨-٨٩.وانظر ٠الكلمات،ص٨٦، ٩٩، ٣٠٨، ٦٢٩، ٧٢٦، ٨٢٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١١٥.

تثلم أدب التوقير والاحترام، ذلك لأنه من القواعد المقررة:

" تخيل الشتم ليس شتماً، وتخيل الكفر ليس كفراً، وتصور الضلالة ليس ضلالاً ".

أما مسألة الشك في الإيمان، فإن الاحتمالات الناشئة من " الإمكان الذاتي " لا ينافي اليقين ولا يخل به، إذ من القواعد المقررة في علم أصول الدين:

" أن الإمكان الذاتي لا ينتفي اليقين العلمي "

فمثلاً:- نحن على يقين من أن بحيرة " بارلا " مملوءة بالماء ومستقرة في مكانها، إلا أنه يمكن أن تخسف في هذه اللحظة ٠

فهذا إمكان ذاتي واحتمال، وهو من الممكنات ٠

ولكن لأنه لم ينشأ من أمارة أو دليل فلا يكون " إمكاناً ذهنياً " حتى يوجب الشك، لأن القاعدة المقررة في علم أصول الدين أنه:" لا عبرة للاحتمال غير الناشئ عن دليل " ٠

بمعنى: لا يكون الاحتمال الذاتي الذي لم ينشأ عن أمارة إمكاناً ذهنياً، فلا أهمية له كي يوجب الشك، فمثل هذه الإمكانات والاحتمالات الذاتية يظن المسكين المبتلى أنه قد فقد يقينه بالحقائق الإيمانية، فيخطر بباله مثلاً خواطر كثيرة من الإمكان الذاتي من جهة بشرية الرسول ﷺ، ولا شك أنها لا تخل بيقينه وجزمه الإيماني، ولكن ظنه أن هذا يضر، هو الذي يسبب له الضرر٠

وأحياناً أخرى تُلقى لمة الشيطان- التي هي على القلب – كلاماً لا يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، فيظن صاحبه أن قلبه هو الذي فسد فصدر عنه هذا الكلام فيضطرب ويتألم ٠

والحال أن اضطرابه وخوفه وعدم رضاه دليل على أن تلك الكلمات لم تكن صادرة من قلبه، وإنما هي من اللمة الشيطانية، أو أن الشيطان يخيلها إليه ويذكره بها ٠

وهكذا فإن حصن المؤمن الحصين من الدسائس الشيطانية المتقدمة هي المحكمات القرآنية والحقائق الإيمانية المرسومة حدودها بدساتير العلماء المحققين والأصفياء الصالحين٠

أما الدسائس الأخيرة، فأنها تُرد بالاستعاذة بالله سبحانه وتعالى وبإهمالها، لأن من طبيعة الوساوس أنها تكبر وتتضخم كلما زاد الاهتمام بها، فالسنة المحمدية للمؤمن هي البلسم الشافي لمثل هذه الجراحات الروحية "[1]

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يسير بتوافق تام مع ما قرره الإسلام من إمكان المعرفة، وتأكيده على وجود الأشياء والموجودات وقبوله للشك المنهجي – في ضوء الإسلام – الذي يبدأ به الإنسان للوصول إلى المعرفة الحقة.

ومن خلال ما سبق يتضح نقد النورسي للذين ينكرون المعارف فسقطوا في حضيض الحماقة والجهل والضلالة وأساؤا إلى إنسانية الإنسان هذا المكرم ٠

هذا بالإضافة إلى رفضه إلى الشك المطلق الذي يؤدي بالإنسان إلى اليأس والقنوط مما يجعله

مسخاً لا حراك له في الحياة، وهذا منافٍ لمن جعله الله خليفة الأرض وسخر له الكون ليعمر وينتج ويعرف ما يصلح له الحياة الدنيا والآخرة ويسوقه للخير.

ومن أجل تخليص هذا الإنسان المكرم من هذا الشك الذي يعوق سعيه للمعرفة فأن النورسي يدعوه للاستعاذة من وساوس الشيطان، التي يوهمهم بالشك فيها أنها يقينيات، وأن يتحصن بالقرآن والسنة المحمدية لأنها البلسم الشافي.

ومجمل القول فأن المعرفة أثر من أثار الله الخالق العليم منحها للإنسان، إذ أن الله ما أعطي هذا الإنسان من ميزة معرفية على سائر المخلوقات، وما جعل له من الأدوات والوسائل والاستعدادات المعرفية، وما فتح له من ميادين النظر والتفكر والعلم، إلا لأن المعرفة ممكنة ٠

كما أن الوجود الكوني والمعرفة أثران منسجمان متناسقان من آثار خالقية الله سبحانه في نظر القرآن الموحى به من عند الله ٠

وبما أن المعرفة والجود أثران للذات الخالقة، فهذا دليل يثبت إمكانية المعرفة للإنسان

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١١٦-١١٧. وانظر في نفس المرجع، ص٩٩.

بل وهى نوع من الوجود وصفة للإنسان .

وسبحان من قال: { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } [1]

obeikandl.com

(١) سورة الملك: آية رقم (١٤).

المبحث الرابع

ويشمل على الموضوعات التالية:-

مصادر المعرفة وطرقها.

المصدر لغة.

الوحي.

الوحي شرعاً.

صور الوحي.

الوحي مصدراً للمعرفة.

طبيعة الوحي في الإسلام.

القرآن الكريم " مصدراً ومنهجاً ".

بيان بأعجاز القرآن.

طريقة المنهج القرآني في المعرفة.

النبوة.

الكون.

النورسي يجمع بين الكون والعقل والقلب.

العقل.

العقل لغة.

مفهوم العقل.

العقل مصدراً للمعرفة.

obeikandi.com

التلازم والتوازن بين العقل والقلب.

الإلهام.

obeikandl.com

مصادر المعرفة وطرقها

المصدر لغة:

المصدر في لغة العرب: مفرد، جمعه مصادر، وهو: موضع الصدور، ومنه: مصادر الأفعال، لأن المصادر المجردة هي أصل المشتقات." [1]

فالمصدر إذن: أصل ينشأ عنه غيره، ومن هنا جاء وصف ما تنبثق عنه المعرفة وتتولد منه المصادر، لأنها هي الأصل، والمعرفة الناشئة عنها.

وقد أختلف الباحثون في الفلسفة في تسمية تلك الأصول التي تنشأ عنها المعرفة – مع اتفاقهم على موضوع البحث:-

- فبعضهم: يسميها " مصادر " وهذا هو الغالب.
- وبعضهم: يسميها " وسائل "
- وبعضهم: يسميها " أصولاً " و " منابع " [2]

(١) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، صـ٩٤، نقلاً من الصحاح مادة (صدر) والقاموس المحيط، فصل الصاد، وباب الراء.

(٢) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، صـ٩٥،٩٤ نقلاً من، معجم مجمع اللغة العربية الفلسفي، ص٢٠٣، والمعجم الفلسفي ٢ / ص٤٧٨، ومبادئ الفلسفة، ص ١٩١.

أولاً: الوحي

الوحي:- يدور المعنى اللغوي للوحي على ثلاثة أصول هي:-

١- الإعلام ٢- والسرعة ٣- والخفاء.

قال ابن منظور:- " الوحي: الإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك "(١)

وفي تهذيب اللغة للأزهري:-

" أصل الوحي في اللغة كلها: إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً •

وفي الصحاح للجوهري:- " الوحي على فعيل: السريع •

ويقال: الوحي، الوحي، يعنى: البدار، وتوح يا هذا، يعنى: أسرع •

وتوحاه توحيه، أى: عجله •

وقال ابن الأثير: " ألوحا ألوحا، أي: السرعة، ويمد ويقصر يقال: توحيت توحياً إذا أسرعت "(٢)

الوحي شرعاً:-

أما الوحي في الشرع، فمن أجمع ما قيل في تعريف الوحي ما نقل عن" الإمام الزهري" في تفسيره لقول الله تعالى { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ }(٣).

---

(١) د: عبدا لله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها،صـ٣١، دار عالم الفوائد، السعودية ١٤١٩ هـ، نقلاً من، لسان العرب لابن منظور، ص ١٥،٣٧٩،٣٨٠.

(٢) د: عبد الله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام،ص٣١،٣٢، نقلاً من، تهذيب اللغة للأزهري، (٥ / ٢٩٦) والصحاح، للجوهري (٦،٢٥١٦)،غريب الحديث، لأبن الأثير (٥،١٦٣)

(٣) سورة الشورى: آية رقم (٥١)

حيث يقول: " نزلت هذه الآية تعم من أوحى الله إليه من البشر، فكلام الله الذي كلم به موسى من وراء حجاب •

والوحي ما يوحى الله إلى نبي من أنبيائه عليهم السلام ليثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه في قلب النبي ويكتبه، وهو كلام الله ووحيه •

ومنه ما يكون بين الله وبين رسله، ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد ولا يأمرون بكتابته، ولكنهم يحدثون به الناس ويبلغوهم إياه •

ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته، فيكلمون به أنبيائه من الناس

ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء من الملائكة فيوحيه وحياً في قلب من يشاء من رسله "[1]

وقد شمل هذا التعريف كلام الله تعالى لأنبيائه من وراء حجاب، وكلام الله تعالى الذي يرسل به ملائكته، وشمل الإلهام الذي هو إلقاء الوحي في قلب النبي، وهو الذي يقول عنه الأمام الزهري لا يكتبونه ولا يأمرون بكتابته ولكنهم يبينونه للناس •

وهو يريد بذلك تفريق بين الوحي الذي يكون لفظه ومعناه من الله تعالى، وهو القرآن فهذا هو الذي يأمر النبي بكتابته •

وأما الوحي الذي لا يكون لفظه من الله فهو الحديث، وهي وإن كانت من الشرع الموحى به إلا أن لفظها من النبي ﷺ ويمكن أن تروى بالمعنى "[2] ورغم أن هذا التعريف شامل وجامع إلى حد كبير، وهو المقصود لبحثنا، إلا أنه من قبيل التأصيل والاكتمال للحديث عن الوحي، نرى من الأهمية سرد نماذج من صور الوحي التي ذكرها القرآن.

صور الوحي: -

---

(١) د: عبد الله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام، ص ٣٢، نقلاً من، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢،٣٩٧) وأنظر: التمهيد، لأبن عبد البر (٢٢،١١٤)

(٢) د: عبد الله بن محمود القرني: المعرفة في الإسلام، ص٣٢. بتصرف.

" يتمثل الوحي في صور عديدة، وقد ذكر القرآن نماذج منها، فمن ذلك:-

١ - الإلهام الغريزي للحيوان: كما في قوله تعالى: { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } (١)

٢ - الإلهام الفطري للإنسان: كما في قوله تعالى: { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (٢)

٣- الإشارة السريعة بأمر ما: مثل ما جاء في قصة سيدنا زكريا - عليه وعلى نبينا السلام - حين أشار إلى قومه بالتسبيح، قال تعالى: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } (٣)

٤-الوسوسة الشيطانية: كما في قول الله جل وعلا: { وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}(٤) بحيث يلقى الشيطان في روع وليه المعاند للحق الباطل، وينفث في قلبه ما يضل به ويصد عن الحق .

ولهذا لما قيل لابن عباس ﷺ: إن المختار الثقفي يزعم أنه يوحى إليه، قال: صدق، فلما نفر السامعون، بين ووضح لهم أنه يوحى إليه، لكن من قبل الشيطان لا من الله " (٥)

---

(١) سورة النحل: آية رقم (٦٧)

(٢) سورة القصص: آية رقم (٧)

(٣) سورة مريم:آية رقم (١١)

(٤) سورة الأنعام: آية رقم (١٢١)

(٥) د: عبد الرحمن بن زيد الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٩٩، ١٠٠.

الوحي مصدراً للمعرفة

يتلاقى النورسي مع معظم " العلماء المسلمين في اتفاقهم على أن أهم مصادر المعرفة التى ينالها الإنسان: هو " الوحي " الذي يكشف للإنسان حقائق ما كان ليصل إليها بدونه. " (١)

ويقرر النورسي أن مصدر الوحي (متمثلاً في القرآن، والنبوة) هو من أصح الوثائق والمصادر في العالم على الإطلاق، إذ " أن حقيقة الوحي الإلهي مهيمنة كل حين – بظواهر في غاية الوضوح – على أرجاء عالم الغيب كافة، فتأتى الشهادة لوجوده وتوحيده سبحانه من لدن علام الغيوب، وهى شهادة الوحي والإلهام، وهى أقوى بكثير من شهادة الكائنات والمخلوقات إذ لا يدع سبحانه تعريف ذاته ولا دلائل وجوده ووحدانيته محصوراً في شهادة مخلوقاته وحدها بل يتكلم كلاماً أزلياً يليق بذاته، فلا حدود ولا نهاية لكلام من هو حاضر وناظر بقدرته وعلمه في كل مكان، ومثلما يعرفه معنى كلامه فإن تكلمه أيضاً يعرفه بصفته.

نعم إن تواتر مائة ألف من الأنبياء عليهم السلام واتفاقهم في جميع إخباراتهم الصادرة من الوحي الألهى، ودلائل ومعجزات الكتب المقدسة والصحف السماوية التي هي الوحي المشهود وثماره، والتي صدقتها الأكثرية المطلقة للبشرية واقتدت بها واهتدت بهديها... يدل بداهة على أن الوحي حقيقة ثابتة لأمراء فيها " (٢)

طبيعة الوحي في الإسلام:- من المؤكد أنه لا وجه للقاء بين طبيعة الوحي (كمصدر للمعرفة) وبين طبيعة منهج آخر، أو المقارنة بينه وبين مذهب آخر، إذ اللقاء أو المقارنة تقتضى التساوي ولا أساس للتساوي بين طبيعة منهج رباني وطبيعة منهج بشرى •

ولعل هذا يؤكد أن لطبيعة الوحي خصائص تميزه عن مصادر المعرفة البشرية، وتنفى عنه تصوراً خاطئاً في طبيعته، ويتجلى ذلك ما يلي:-

أولاً:- حصوله بالاصطفاء لا الكسب:

---

(١) د: عبد الرحمن الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص ٩٥، ٩٦. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٦٢.

حيث أن الوحي منحة إلهية، يختار المولى سبحانه بحكمته من يشاء من عباده ليكون موضع تلقيها ومما يؤكد هذا قول الله سبحانه { الله أعلم حيث يجعل رسالته } [١]

فالنبوة التي هي مؤهل تلقى الوحي، نتيجة إصطفاء خاص من الله تعالى لأحد خلقه على الناس كما قال الله لموسى عليه السلام { إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي } [٢]

فهذا الاصطفاء الإلهي المحض،" يبطل التصور الخاطئ لبعض الفلاسفة والصوفية بإدخالهم الوحي في قائمة المواهب البشرية المكتسبة، أو التي تنال بالاجتهاد والاستغراق والتسامي بالروح أو بإطالة المعاناة الفكرية والعبقرية الذاتية في جوهر الأشياء مما يتفجر عنده الحدس بالحقيقة، وتنزل معه المعرفة المباشرة " .[٣]

ثانياً:- عدم خضوعه لرغبة الرسول في تنزله:

فالوحي يتم تبعاً لمشيئة الله وحده، فليس خاضعاً في توقيت نزوله أو تحديد مكانه لرغبة سيدنا محمد ﷺ، ولا ملبياً مطالبه فور الحاجة إليه، إذ لم يكن للرسول محمد ﷺ اختيار فيما ينزل أو ينقطع .

بل أن الوحي كان ينزل عليه في لحظات تدل حاله فيها أنه لم يكن ينتظر نزول الوحي فيها ويؤكد هذا ما ذكره " سيدنا أنس ﷺ أنه ﷺ أغفى إغفاءة ثم استيقظ ورفع رأسه مبتسماً، حيث أنزلت عليه سورة الكوثر " [٤]

وهذه الخاصية في طبيعة الوحي تميزه عن مناهج استمداد المعرفة من المصادر الأخرى والتي تتم من خلال تهيؤ واستعداد وبذل جهد ذاتي من أجل تحصيل المعرفة، مثل ما يبذله الفيلسوف من تأمل ونظر وبحث، أو مثل ما يبذله الصوفي من تجريد واستغراق روحي .

ثالثاً:- اليقينية المطلقة لما قدمه من علم:

إن الوحي بصفته جزءاً من علم الله سبحانه وتعالى، له ما لهذه الصفة من كونها مطلقة

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (١٢٤)

(٢) سورة الأعراف: آية رقم (١٤٤)

(٣)أنظر. د/ عبد الرحمن الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي،ص١٤٥،وانظر/ عرفان عبد الحميد: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ص٨٩. بتصرف.

(٤) أنظر: صحيح مسلم (١/ ٣٠٠) ومسند الإمام أحمد (٣/ ١٠٢).

غير محدودة ويقينية وحقائقه قطعية وثابتة، فعلم الله يتخطى حدود الزمان والمكان، ولا يعجزه ميدان من ميادين المعرفة، خلافاً للعلم البشرى المقيد بحدود الزمان والمكان، والناشئ من ملكات الإنسان المحدودة ٠

رابعاً:- تنزهه عن التأثر بالزمان والمكان:

لم يكن للزمن الذي نزل فيه الوحي على سيدنا محمد ﷺ ولا للبيئة التي عاش فيها أثر في تشكيل المعرفة التي جاء بها، فلم يكن للأعراف والتقاليد والطقوس التي تحيط بسيدنا محمد ﷺ أي تسلل إلى تلك الحقائق التي قدمها ٠

ولكن الشأن لدى الفلاسفة والباحثين يختلف، إذ أنهم لا يستطيعون التخلص نهائياً مما نشأوا عليه وانطبع في أذهانهم، بل أن البيئة التي يعيشون فيها تشكل جزءاً من عقولهم التي بها يفكرون وهذا يؤكد أن الوحي علم عملي نزل للواقع مؤثراً فيه وإن لم يتأثر به ٠

خامساً:- انتفاء الحلول في تلقي الوحي:

الوحي: علم وأمر يتم بين ذاتين:

- ذات ملقية: وهي ذات الله سبحانه، أو ذات جبريل متلقية من الله ٠
- وذات متلقية: وهي ذات الرسول ﷺ ٠

وذات الله سبحانه وتعالى وذات جبريل عليه السلام مباينتان لذات الرسول ﷺ ٠

فليس الوحي حلولاً لذات الله في ذات رسول الله، أو اتحاد بينهما ٠ "[1]

---

(١) د/ عبد الرحمن الزبيدى: مصادر المعرفة، ص١٤٥، ١٦١. بتصرف.

القرآن الكريم " مصدراً ومنهجاً "

يرى النورسي أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للحقيقة المطلقة، بل أن أفضل معراج للوصول و" العروج إلى عرش الكمالات، وهو معرفة الله - جل جلاله - هو المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، وهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبنى الإنسان، ونحن قد أخترنا هذا الطريق "[1]

" فإن قلت ما هو القرآن ؟

قيل لك هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم ٠

وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض ٠

وكذا هو مفتاح لحقائق الشئون المضمرة في صدور الحادثات ٠

وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة ٠

وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والإلتفاتات الأبدية الرحمانية ٠

وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي ٠

وكذا هو خريطة للعالم الأخروي ٠

وكذا هو قول شارح وتفسير واضح وبرهان قاطع وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشئونه ٠

وكذا هو مرب للعالم الإنساني، وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خلق البشر له ٠

---

(١) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ١٢٢، ١٢٣.

وكذا هو للإنسان، كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية ، كذلك هو كمنزل فقدس مشحون بالكتب والرسائل ، حتى انه قد ابرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة ، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره ، ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل.

واعلم أن القران خطاب ودواء لجميع طبقات البشر، من أذكى الأذكياء إلى أغبى الأغبياء ، ومن اتقى

الأتقياء إلى أشقى الأشقياء ، ومن الموفقين المجدين الفارغين من الدنيا إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا "[1]

وبالتأمل في هذا التعريف نجد أن النورسي سلط الضوء وركز فيه على بيان المعارف العظيمة والكثيرة التي يقدمها القران .

هذا بالإضافة إلى إعلام السائل عن القرآن وتعريفه بأن القرآن خطاب ودواء ومصدر معرفي لجميع طبقات البشر.

بيان بإعجاز القرآن:-

يؤكد النورسي على إعتبار القرآن أهم مصادر المعرفة، لما يستند إليه هذا المصدر إلى طبيعته الربانية، وهذه العلاقة ثابتة بدلائل الإعجاز التي تجعل من معانيه حقائق قيمة ترتقي بالإنسان في درجات اليقين.

ويتجلى إعجاز القرآن عند النورسي من سبعة منابع كلية، ويتركب من سبعة عناصر، هي:-

المنبع الأول: سلاسة لسانه من فصاحة اللفظ...، وبلاغة المعنى، وبداعة المفاهيم،

---

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص ٦٩، ٧٠.

وبراعة المضامين....

. العنصر الثاني:- هو الإخبار السماوي وهو عن الغيوب في الحقائق الغيبية الكونية والأسرار الغيبية للحقائق الإلهية، فمن أمور الغيب المنطوية في الماضي، ومن الأحوال المستترة الباقية في المستقبل تنشأ خزينة علم الغيوب، فهو لسان عالم الغيوب، يتكلم مع عالم الشهادة في أركان (الإيمان) يبينها بالرموز، والهدف هو نوع الإنسان.

المنبع الثالث:- امتلاك القرآن لجامعية خارقة من خمس جهات: في لفظه، في معناه، وأحكامه وعلمه، ومقاصده.

العنصر الرابع: - إفاضته النورانية حسب درجة فهم كل عصر، ومستوى أدب كل طبقة من طبقاته، وعلى وفق استعدادها ورتب قابليتها .

فبابه مفتوح لكل عصر ولكل طبقة من طبقاته، حتى كأن ذلك الكلام الرحماني ينزل في كل مكان وفي كل حين، فكلما شاب الزمان شب القرآن وتوضحت رموزه، فذلك الخطيب الإلهي يمزق ستار الطبيعة وحجاب الأسباب، فيفجر نور التوحيد من كل آية، وفي كل وقت، رافعاً راية الشهادة، شهادة التوحيد على الغيب.

إن علو خطابه يلفت نظر الإنسان ويدعوه إلى التدبر، إذ هو لسان الغيب، يتكلم بالذات مع عالم الشهادة.

وخلاصة هذا العنصر: أن شبابيته الخارقة شاملة محيطة، وأنسيته جعلته محبوب الإنس والجان، وذلك بالتنزلات الإلهية إلى عقول البشر لتأنيس الأذهان، والمتنوعة بتنوع أساليب التنزيل." [1]

المنبع الخامس:- مجمع نقوله وأخباره في أسلوب بديع غزير المعاني، فينقل النقاط الأساس للأخبار الصادقة كالشاهد الحاضر لها، ينقل هكذا لينبه بها البشر.

العنصر السادس:- أنه مؤسس دين الإسلام ومتضمنة، ولن تجد مثل الإسلام إن تحريت الزمان والمكان لا في الماضي ولا في المستقبل.. إنه حبل الله المتين.

المنبع السابع:- إن الأنوار الستة المفاضة من هذه المنابع الستة، يمتزج بعضها مع بعض

---

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص١٨٣-١٨٥. بتصرف.

فيصدر شعاع حسن فائق، ويتولد حدس ذهني .

وهو الوسيلة النورانية، والذي يصدر عن هذا: ذوق يدركِ به الإعجاز لساناً يعجز عن التعبير عنه، والفكر يقصر دونه.

بل هو بذاته برهان للإعجاز..

إن القرآن لا يقاس بسائر الكتب ولا يشبهها قطعاً.

وفي القرآن خاصية لا توجد في أي كلام آخر: لأنك إذا سمعت كلاماً من أحد فأنك ترى صاحب الكلام خلفه أوفيه، فالأسلوب مرآة الإنسان." [1]

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص١٨٥، ١٨٦.

obeikandl.com

طريقة المنهج القرآني في المعرفة

من خلال استقراء رسائل النور نجد أن النورسي يحدد سمات المنهج القرآني في المعرفة كما نجد تميز النورسي باعتماده القرآن منهجاً متكاملاً في المعرفة، ولا يتعامل معه باعتباره مصدراً فحسب، ويمكن رسم بعض عناصر هذا المنهج في النقاط التالية:-

١- مراعاة مستويات المخاطبين – بفتح الطاء – وتنوع أساليب الخطاب وذلك لإشاعة المعرفة وإيصال الخطاب إلى كل طبقة من طبقات البشر بما يناسبهم.

ولهذا يقول النورسي: " لما كان القرآن الكريم خطاباً أزلياً للجن والإنس بطبقاتهم كافة فكل طبقة من البشر تأخذ إذاً حصتها من كل آية من القرآن الكريم، وكل آية أيضاً تشبع أفهام كل طبقة من الناس، أي لكل آية معان متنوعة متعددة ضمناً وإشارة.

نعم، إن سعة خطاب القرآن وشمول معانيه وإشاراته ومراعاته درجات أفهام الطبقات العامة ومداركهم، من أدنى العوام إلى أخص الخواص تبين أن كل آية لها وجهة نظر متوجه إلى كل طبقة من الناس "(١)

ولعل هذا ما جعل النورسي ينوع الأساليب في الرسائل، فتارة يخاطب العقل، وتارة يخاطب الوجدان، وتارة يستعمل المعارف اللغوية، وأخرى يستعمل العلوم التجريبية....

وفي موضع أخر يقول النورسي: " إن آياته مع كمال الانسجام وغاية الارتباط وتمام الاتصال بينها يتيسر لكل أحد أن يأخذ من السور المتعددة، آيات متفرقة لهدايته وشفائه كما أخذها عموم أهل المشارب والعلوم "(٢)

٢- الانطلاق من الكون والإنسان: - يرى النورسي أن الكون والإنسان يشكلان الأرضية التي من خلالها يعرض القرآن الكريم أهم حقائق الإيمان، ويبرز على صفحتها تجليات أسماء الله الحسنى في الأنفس والأفاق، فقد قال تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٠٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص٢٤٩، ٢٨١، ٣٢١، وأنظر: صيقل الإسلام ص ٣٠، ٥٩.

أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [١]

ومن هنا كان القرآن " ببياناته المعجزة يبسط أفعال الصانع الجليل ويفرش أثاره أمام النظر ثم يستخرج من تلك الأفعال والآثار الأسماء الإلهية، أو يثبت مقصداً من مقاصد القرآن الأساسية كالحشر والتوحيد "[٢]

فالإنسان في الخطاب القرآني هو مركز الكون " [٣] " وخلاصته، وهو ثمرة الخلقة "[٤] "ومرآة تجليات أسماء الله الحسنى ومشهر جميع معجزات الصنعة الربانية "[٥]

ويرى النورسي أن من ملامح الدقة في الانطلاق والتوجيه والقصد في التبليغ: " أن ذكر القرآن لبعض الغايات الراجعة إلى الإنسان إنما هو للإخطار لا للانحصار ، أي لتوجيه نظره إلى الدقة في فوائد نظام ذلك الشيء ذي الغاية ، وفي انتظامه الدال على أسماء صانعه "[٦]

بل إن النورسي من شدة تأمله في علاقة القرآن بالكون، وبالأرض بالتحديد، أي المجال الذي يسكن فيه الإنسان، يكشف عن اتصال روحي معرفي (عقلاني) بين القرآن والأرض "[٧]

ويرجع النورسي عناية القرآن الكريم بالكون والإنسان والربط بينهما في العديد من الآيات إلى كونهما قد ركبا بشكل يجعلهما (مناظرين) لما يمكن أن يخبر به القرآن من امور غيبية فالربيع في الطبيعة – مثلاً – إشارة إلى إمكانية الحشر، ووجود الحافظة في الانسان –

---

(١) سورة فصلت: آية رقم (٥٣)

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات،ص٤٨٤

(٣) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٥٩٤

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات،ص٣١٥، ٣٢٩

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات،ص ٢٠٤

(٦) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص٣٥٧

(٧) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص ١٢٠

مثلاً - إشارة إلى وجود اللوح المحفوظ... وهكذا "[١]

٣- ضرب الأمثال أو القياس التمثيلي.

لما كان قصد القرآن هو إفهام المخاطبين على اختلاف مستوياتهم، ولما كان فكر الإنسان يقصر عن فهم بعض الحقائق، فقد كثر في القرآن " ضرب الأمثلة " [٢] " لتقريب ما دق من الأمور إلى الإفهام " [٣]

وإذا كان النورسي قد أستخدم طريق التأمل الآفاقي والأنفسي للوصول إلى معرفة الله وهذا الطريق يتوافق مع أذهان العامة والخاصة.

فأنه استخدام طريق ضرب الأمثال وذلك لتقريب الحقائق إلى الأذهان من أجل الوصول إلى أسمى الحقائق وهي معرفة الله.

" ولا يخفي ما لضرب الأمثال من أهمية في تقريب المفاهيم وتبسيطها وغرسها في الذاكرة بحيث أن الموضوع يمكن تذكره بمجرد ذكر المثال، وكذا صلاحيته للتفاهم مع مختلف المستويات العقلية والعلمية.

فالقرآن الكريم- وكذلك الحديث الشريف – قد قربا أمثالاً كثيرة لتقريب الحقائق العظيمة لأفهام الإنسان وتعميقها.

ورسائل النور لأنها تسير على درب القرآن، فأنها أوردت كثيراً من الأمثال حتى يمكن أن يعد ضرب الأمثال طابعها المميز." [٤]

والغاية من ذلك التدرج والرقى من أجل الوصول إلى معرفة الخالق العظيم.

---

(١) وهكذا ما يمكن أن نطلق عليه: عند النورسي – دليل (المقابلة والتناظر) حيث ينطلق من الإنسان والكون ليثبت إمكانية ما أخبر به القرآن من غيبيات ويسوق الإنسان لمعرفتها، وقد أستعمله النورسي كثيراً في رسائله، أنظر مثلاً: الكلمات: ١٨٥، وما بعدها، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٩٣، ٦٢٧، وغيرها، وأنظر اللمعات، ١٢٧.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٢٨.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات،ص٢٦٦.

(٤) إحسان قاسم: حياته وآثاره، ص١٧٨،١٧٩.

ومن النصوص الساطعة التي يعترف فيها النورسي بدءاً بنعمة الله عليه بشعلة ضرب الأمثال ثم بيانه الغاية من هذا الطريق هو قوله:-

" وهب لي الحكيم الرحيم، وأنعم على سبحانه شعلة من " ضرب الأمثال" التى هى من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، رحمة منه جل وعلا لعجزي وضعفي وفقري وإضطرارى لأنير بها كتاباتي التي تخص خدمة القرآن الكريم، فله الحمد والمنة.

فبمنظار" ضرب الأمثال" أظهرت الحقائق البعيدة جداً أنها قريبة جداً، وبوحدة الموضوع في " ضرب الأمثال" قد جمعت أكثر المسائل تشتتاً وتفرقاً .

ومن نافذة " ضرب الأمثال" قد حصل اليقين الإيماني بحقائق الغيب وأسس الإسلام مما يقرب من الشهود، فأضطر الخيال إلى الاستسلام وأرغم الوهم والعقل إلى الرضوخ، بل النفس والهوى، كما أضطر الشيطان إلى إلقاء السلاح ".[1]

ونلحظ من خلال هذا النص أن النورسي يلوح بالشعار العظيم {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }[2]

وذلك لبيان أن ضرب الأمثال اشتملت على دلالات وخصائص اقترنت بها، وهذا يتبين من خلال ما ورد في النص السابق وهى على التوالي:-

١- أن " ضرب الأمثال " منظار يخترق الأبعاد- في مختلف الاتجاهات – ونتجاوز الحدود و الحواجز حتى يصل إلى الحقائق، فيأتي بها حتى يضعها أمام الناظر ليس بينها وبينه حجاب ولا ضباب..

٢- أن " ضرب الأمثال" وحدة تصل بين جميع الكائنات والموجودات وما ينتج عن تفاعلها من مسائل وقضايا بخيط رفيع يشدها إلى أصولها وكلياتها وسننها حتى تنتهي إلى الله جل جلاله { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٨٧، وأنظر سيرة ذاتية، ص٢٤٢،٢٤٣.

(٢) سورة العنكبوت: آية رقم (٤٣).

الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ } [١]

{ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } [٢]

{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا } [٣]

٣- أن " ضرب الأمثال" سلم ينسجم مع الطبيعة البشرية التي تأنس بالتدرج وتنفر من الطفرات وحرق المراحل، فالقرآن الكريم يرتقي بالإنسان في مدارج المعرفة حتى يصل إلى الحقائق الكونية الكبرى بسهولة ويسر، حتى قال بعض الحكماء:- " إن المؤمن البسيط في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله لا إله إلا الله يبدأ من حيث انتهى إليه الفيلسوف، هذا الذي أفنى عمره كله للتعرف على مبدع الكون "

٤- أن " ضرب مثال " نافذة نطل عبرها من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فهذا القبس من نور الله جل جلاله، الذي أنزله على خلقه وأذن لهم بعلمه، هو حبل الله المتين الذي يصلنا بأقوى درجات اليقين بعالم الغيب، وقد أفضى القرآن الكريم في وصف هذا العالم وصرف القول فيه حتى صار مشهوراً .

هذه الخصائص الأربعة منفردة ومجتمعه، من أهم ما يميز طريق النورسي في ضرب الأمثال المستمد من القرآن في المعرفة .

وهى تجمع بين القوة والتساند والتدرج والتواصل والشمول.

وإذا كان هذا الطريق يوصل إلى أعظم الحقائق فهو يوصل إلى ما دونها بالضرورة، أو يسهل الوصول إليها، ويهيئ الظروف المناسبة لبلوغها " [٤]

٤- التكرار:- لما كانت الحقائق الإيمانية التي جاء بها القرآن الكريم ضرورية للإنسان في الدنيا والآخرة، فقد عمد القرآن إلى تفصيل القول بقصد التوضيح والبيان الشافي،

---

(١) سورة الملك: آية رقم (٣).

(٢) الأنبياء: آية رقم (٢٢).

(٣) سورة النساء / آية رقم (٨٢).

(٤) د/ مصطفي فوضيل: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، ص٣٢٧،٣٢٨. بتصرف.

وكررها عرضاً واستدلالاً بناءاً على قاعدة (أن تكرار الحاجة يستلزم التكرار) [١]

" ومنبها على فوائده المنهجية في تبليغ المعلومات وتبيان الحقائق وتحصيل المعارف "[٢]

" ولزوم الحاجة إلى الإفهام "[٣]

٥- مخاطبة جميع جوانب الإنسان: من المسلم به أن للإنسان ملكات متعددة "[٤] " ولطائف متنوعة "[٥] كالقلب والعقل والروح والسر والنفس .

ومن هنا كان الخطاب القرآني متوجهاً إلى هذه اللطائف كلها للوصول بها إلى المعرفة الصحيحة.

٦- الدعوة إلى التدبر والتفكر وتحريك ذهن الإنسان من خلال إثارة التساؤلات " وهو مسلك يأمر به القرآن " [٦] " لأنه يقود الإنسان على المعرفة وإلى الإيمان وتحقيق معنى الإنسانية فيه "[٧]

" والدعوة إلى التفكر، هو سمة من سمات الخطاب والمعرفة القرآنية "[٨]

إن القرآن الكريم بهذه الصفات والخصائص صار بحق وجداره أستاذاً يعلم البشرية ويبلغ إليها المعارف والحقائق بأصح ما يكون وأسهله وأدقه وأوضحه وأشمله.

والنورسي ينطلق من القرآن ويستند إليه بأعتباره علماً مستقلاً بنفسه ومنهجاً قائماً بذاته

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٢٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص١٩٦ - ٢٤٠، وانظر: المثنوي العربي، ص٧٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٣٠: وخاصية التكرار انعكست على أسلوب النورسي في " رسائل النور " حيث أنه كرر الموضوعات عرضاً واستدلالاً، ومزاوجاً بين الاختصار والتفصيل.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٥) بديع الزمان النورسي الكلمات ص٥٨٢.

(٦) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٤٥٦، وللنورسي رسالة سماها (رسالة التفكر الإيماني) وهي اللمعة (٢٩)، أنظر اللمعات ص ٤٥٦ وما بعدها، فجميعها مؤسس على أسلوب تحريك العقل وحثه على التفكر للوصول إلى المعرفة، والترقي في درجات اليقين، أنظر الكلمات: ص٣١١ - ٣٤٧.

(٧) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٣٧٣.

(٨) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٨٣ - ٥٨٦.

تام الأركان ومكتمل العناصر، لأنه من لدن حكيم خبير •

والنظر إلى القرآن بهذا الاعتبار يفتح آفاقاً علمية، ويكشف عن ميزان معرفي يمكن الاحتكام إليه في كل زمان ومكان •

والنورسي تعامل مع القرآن على اعتباره منهجاً ومصدراً متكاملاً للمعرفة، ولهذا أقر بأن " رسائل النور لا مصدر لها سوى القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن "[1]

(١) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص٢٢١.

obeikandl.com

النبـــوة

يرى النورسي " أن الإنسان يمثل أعظم مقصد من المقاصد الإلهية في الكون، وهو المؤهل لإدراك الخطاب الرباني، وقد اختاره سبحانه من بين مخلوقاته، واصطفي من بين الإنسان المكرم من هو أكمل وأفضل وأعظم إنسان بأعماله وآثاره الكاملة ليكون موضع خطابه الجليل بأسم النوع الإنساني كافة، بل بأسم الكائنات جميعاً "(١)

والإنسان الأكمل والأفضل هو: " النبي الذي يمثل كمال العبودية لله تعالى، إذ هو عبد أصطفاه الله تعالى وعرفه على ذاته العلية، وكلفه بمهمة إراءة الكمالات للخلق، فكان بذلك أعرف من كل المخلوقين بخالقه، وأصبح دليل الكون والكائنات، ومعرفهم ومرشدهم لمعرفة الله "(٢)

لهذا فأن النورسي يعطى الأنبياء وهو يستعرض وظيفتهم، مهمة التنوير وهداية الناس إلى ما يحققون به سعادة الدنيا والآخرة، وينظر إلى شخصية النبي المعنوية باعتبارها " شمس الكائنات والسراج المنير للخلق أجمعين "(٣) لأنه يضئ الطريق للإنسانية من أجل الوصول بهم إلى معرفة الله.

ومن أبرز الوظائف التي يسندها النورسي للنبي هي إظهار الألوهية، ويؤسس لهذه الوظيفة من خلال بيانه الغاية العظمى للإنسان ٠

حيث يجعل من أسمى غايات الإنسان التعرف على الله تعالى وصفاته وشئونه في الكون وهى غاية لايمكن للقدرات الإنسانية مجردة الوصول إليها، ومن هنا جاءت بعثة الأنبياء والرسل بإظهار ما أنطوى عليه الكون من دلائل على الألوهية، فيقول النورسي:-

" نعم يلزم أن يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس مثل هذا لرسول

---

(١) بديع الزمان النورسي: رسالة مرقاة السنة، ترجمة، احسان قاسم: ص٣٨، سوزلر، القاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) نفس هذه المعاني توجد في رسائل النورسي: فأنظر في، الكلمات، ص٢٧٩، ٥٥، ٤٦، ٣٠، عصى موسى ص١٢٩ وأنظر اللمعات، ص ١٩٤، وانظر إلى أغلب الأدعية الواردة في ختام الموضوعات وخاصة " الكلمات "

(٣) بديع الزمان النورسي: مرقاة السنة، ص٣٦.

الكريم كلزوم الضوء للشمس، لأنه كما لا يمكن للشمس إلا أن تشع ضياء، لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام.

فالجمال والجلال والكمال.. لا تظهر إلا بوجود نبي يحبب الخلق فيها، فيكون بمثابة المعرف الحاذق، والمعلن الوصاف لها "[١]

" والدال على سلطان ربوبية الله، والكشاف الحكيم للغز الكائنات "[٢]

بل إن " تجليات عظمة الربوبية وهيمنة سلطنة الإلوهية، إنما تعرف برسالة هذا الداعية العظيم إلى سلطان الربوبية، وتتبين بها وتفهم عنها، وتؤخذ منها، وتصدق بها " [٣]

ومن خلال استعراض نصوص النورسي في قول: " موضع خطابه " وأنه " واسطة الاتصال بين الله تعالى وخلقه " وأنه " شمس للكائنات وسراج للخلق " و " المعرف الحاذق " و " الدال على ربوبية الله ".

يتبين أن الرسول عند النورسي هو معرف ومعلم مؤهل لإيصال المعرفة إلى المتعلم.

أي أن الإنسانية في حاجة كبيرة إلى النبي، ولا يمكنها الاستغناء عنه من أجل الوصول إلى معرفة الله عن طريق يأمن فيه على نفسه من الانزلاق في مهاوي الشيطان.

ويؤكد النورسي على ذلك بقوله:- نعم: مادام الكون قد خلق لأجل الحياة، وأن الحياة هي أعظم تجل وأكمل نقش وأجل صنعه للحى القيوم جل جلاله ٠

ومادامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بإرسال الرسل وإنزال الكتب إذ لو لم تكن هناك رسل ولا كتب لما عرفت تلك الحياة الأزلية ٠

فكما أن تكلم الفرد يبين حيويته وحياته، كذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون ٠

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٦٢، وأنظر رسالة الحشر، ص٣٦.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٣٤٣، وأنظر نفس المصدر، ص٦٩٠، ٦٩١.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٥٣٧.

فلابد أن الحياة التي في الكون تدل دلالة قاطعة على الحي الأزلي سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده .

كما أن شعاعات الحياة الأزلية كذلك، وتجلياتها تنظر وتتوجه إلى مالها ارتباطات وعلاقات معها من أركان الإيمان مثل: " إرسال الرسل " و " إنزال الكتب " وتثبتها رمزاً، ولاسيما " الرسالة المحمدية " و " الوحي القرآني "

إذ يصح القول: أنهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت الحياة، حيث إنهما بمثابة روح الحياة وعقلها "[1]

ولئن كان الإمام " محمد عبده " قد عد النبوة في الكون " بمنزلة العقل في الإنسان "

فأننا نلحظ أن النورسي من خلال النص السابق يقفز بمنزلة النبوة (التي هي طريق معرف ودلال من أجل الوصول إلى معرفة الله) إلى أن جعلها بمثابة الروح والعقل في جسد الإنسان وبث الحياة في الكون، وبغياب النبوة يكون الموت. "[2] ... ولكن رغم قفزة النورسي إلا أنه يتلاقى مع الإمام محمد عبده وغيرهم من العلماء المسلمين على أهمية الحاجة إلى النبوة كطريق معرف وموصل إلى معرفة الله وهداية البشر إلى أفضل القيم.

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١١٨-١١٩.

(٢)عبد الوهاب بوخلخال: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص١٠٩، ١١١ وانظر نفس المرجع ص ١٢٦، ١٢٧، نسل للطبع: استانبول، نقلا من،محمد عبده:رسالة التوحيد،ص ٩١، ١٠٣

الكـون

يستعرض النورسي في رسائله الآيات الكونية لاشتمالها على البراهين الدالة على معرفة الله ووحدانيته، إذ أن " كل برهان منها قد فتح آفاقاً أرحب ونوافذ أسطع إلى معرفة الله وإلى محبته الخالصة "[١].

وهذا الكون الممتد أمام الإنسان وخلفه وتحته وفوقه وعن يمينه وشماله، هو في رؤية النورسي له وجود قائم متحقق، وهيئة منتظمة في غاية الدقة والكمال والجمال.

وهذا الكون يثير الإنسان بجميع ملكاته ولطائفة وجوارحه للبحث فيه من أجل الوصول إلى حقيقة الحقائق وكبرى اليقنيات وهي معرفة الله، فيقول في "الكلمة الثانية والعشرون" من "الكلمات": " لاشك أن لهذا العالم العجيب مدبراً يدبر شئونه، ولهذه المملكة البديعة مالكاً يرعاها، ولهذه المدنية الرائعة سيداً يتولى أمرها، ولهذا القصر المنيف صانعاً بديعاً قد أبدعه فأرى لزاماً علينا أن نسعى لمعرفته، إذ يبدوا أنه هو الذي قد أتى بنا إلى هاهنا وليس أحد غيره فلو لم نعرفه فمن ذا غيره يسعفنا ويغيثنا ويقضي حوائجنا "[٢]

فالنورسي إذاً " ينظر إلى الكون باعتباره كتاب صمداني ينطوي على معاني عميقة وغزيرة"[٣] يجب التعرف عليها .

وهذا ما عبر عنه النورسي في "اللمعات" بوصفه للكون بأنه: " قرآناً منظوراً "[٤]

أي مصدراً للمعرفة يستقى منه الإنسان ما يوصله إلى معرفة الله، وذلك " لأن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه هي: معرفة خالق الكون سبحانه والإيمان به"[٥]

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٣٢٤.

(٢) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في فكر سعيد النورسي، ص٧٠، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٣) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: بحوث في الفكر النورسي،ص٦١ وأنظر، بديع الزمان، الكلمات، ص٧٤.

(٤) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٥٣٠.

(٥) بديع الزمان النورسي: الشعاعات،ص١٣٥.

" فأرفع رأسك وأفتح عينك، وألق نظرة على كتاب الكون الكبير، ترى أنه يقرأ على الكون كله ختم الوحدة بوضوح تام" [١] بل " إن جميع عوالم الكون علويها وسفليها، تدل بألسنة مختلفة على نتيجة واحدة، أي على ربوبيته... ويدل على صانع حكيم " [٢]

" وهكذا، فالجمال الذي يشع من وجه الكون... والعشق الذي يخفق به قلبه.. والانجذاب الذي يمتلئ به صدره.. والكشف والشهود الذي تبصره عينه... والروعة والإبداع في مجموع الكون كله يفتح نافذة لطيفة جداً نورانية ساطعة أمام العقول والقلوب اليقظة، يتجلى منها ذلك الجميل ذو الجلال، الذي له الأسماء الحسنى، وذلك المحبوب الباقي والمعبود الأزلي"[٣].

وبالرغم من أن النورسي في كتابه " الكلمات " يستفيض في حديثه عن الكون، إلا أنه خصص له رسالة " الآية الكبرى " [٤]

وهي مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه " تبدأ باستدلال الكون على معرفة الله وإظهارها له، وأن هذا الكون يدل على صانعه وكائنه ومصدره والذي أوجده " [٥]

" وأن آيات كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [٦] تذكر في مقدمة تعريفها لخالق هذا الكون " السماوات " التي هي أسطع صحيفة للتوحيد، بحيث ما يتأمل فيها متأمل إلا تضمره الحيرة ويغشاه الإعجاب، فيستمتع بمطالعتها بكل ذوق ولذة...

نعم، إن كل من يأتي ضيفاً إلى مملكة هذه الدنيا ويحل في دار ضيافتها، كلما فتح عينيه

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات،ص٣٣٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٨٧،٧٨٩، وأنظر في نفس المرجع ص٨٣٨،٨٣٩.

(٣) المرجع السابق نفسه:ص٨١٨.

(٤) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٤١.

(٥) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٢٨٤.

(٦) سورة الإسراء: آية رقم (٤٤)

ونظر ورأى: مضيفاً في غاية الكرم... ومعرضاً في غاية الإبداع.. ومعسكر تدريب في غاية الهيبة.. ومتنزهاً جميلاً في غاية الروعة.. ومشهراً في غاية الإثارة للشوق والبهجة.. وكتاباً مفتوحاً ذا معان في غاية البلاغة والحكمة..

وبينما يولع الضيف السائح بأن يعلم ويتعرف على صاحب هذه الضيافة الكريمة، وعلى مؤلف هذا الكتاب الكبير، وعلى سلطان هذه المملكة المهيبة، إذا بوجه السماوات الجميل المتلألئ بالنجوم يطل عليه مناديا: " انظر إلى، فأنا أعرفك بالذي تبحث عنه

" فينظر السائح ويرى... أن ربوبية ظاهرة تتجلى "[١]

وهكذا من خلال " مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه " يبين النورسي أن المعرفة بالكون هو ارتقاء من مقام المعرفة الغيابية إلى مقام المعرفة الحضورية والمخاطبة، فيقول:" إن السائح الذي أتى إلى الدنيا وبحث عن خالقها وصعد في ثماني عشرة مرتبه، وبلغ عرش الحقيقة بمعراج إيماني، ارتقى من مقام المعرفة الغيابية إلى مقام الحضور والمخاطبة"[٢].

وإذا كان النورسي قد أكد أن " كتاب الكون يعلمنا ويدلنا على وجود الله ووحدانيته" [٣] وأن " لسان نظام الكون يقول لا خالق إلا هو" [٤]

فأننا نراه يؤكد كثيراً على العلاقة المتلازمة بين الكون المقروء والمنظور، ويقدم الكثير من البراهين على قوة الارتباط بينهم.

ومن النصوص التي سطرها لبيان الإندماج بين القرآنين المقروء والمنظور قوله:-

أن " هذا القرآن البديع الجميل الزاهي، هو هذا الكون البديع"[٥] و " هو الذي يفسر

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٤١،١٤٢، وأنظر في نفس المرجع ص١٣٢،٢٥٥.

(٢) بديع الزمان: الشعاعات، ص١٨٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٣٤٢.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٨٣٩.

(٥) الرجع السابق نفسه، ص١٤٢،١٤٣.

آيات كتاب الكون "[١] " ويتلو آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير"[٢]..

"نعم، إن القرآن الكريم (المقروء) هو أعظم تفسير وأسماه، وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم (منظور)..

نعم، إن ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والإنس إلى الآيات الكونية التي سطرها قلم القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع، ودبجها على أوراق الأزمنة والعصور.

وهو الذي ينظر إلى الموجودات – التي كل منها حرف ذو مغزى – بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل"[٣].

" ومن هنا يتضح شمول رؤية النورسي للربط بين الكتاب المقروء والكتاب المنظور، وأن كلاهما مفتاح للأخر، فمفتاح الكون المنظور هو القرآن الكريم الذي يأمر بالنظر في آياته المتعددة من الليل والنهار والشمس والقمر.... ومفتاح القرآن الكريم هو نفسه وآفاقه" [٤]

ويربط النورسي بين المصادر المعرفية الثلاثة " النبوة والكون والقرآن " في عقد فريد منظوم فيقول: " فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره، مات الكون وتوفيت الكائنات وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون، جن جنونه وفقدت الكرة الأرضية صوابها، وزلزل عقلها وظلت بلا شعور، واصطدمت بإحدى سيارات الفضاء، وقامت القيامة"[٥]

وكأن النورسي يريد أن يبين تلازم واندماج هذه المصادر واحتياج كلاً منها إلى الآخر من أجل التمام المعرف .

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١٣٣.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٣٠.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١٤٣.

(٤) أ.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: أ.د/ سامي عفيفي حجازى: قضايا معاصره فكر النورسي / ص٣٩ سوزلر، القاهرة،

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١١٩.

وكذلك يريد أن يوجه نظر الإنسان في كل زمان ومكان إلى استقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني يجمع فيه بين الأدلة كلها متعاضدة ومتساندة، وتمثل نظرة جامعة إلى الوجود كله"[١]

وإذا كان النورسي قد قام بالربط بين المصادر السابقة، فأنه يرى أن الإنسان هو محور ومرتكز هذه المصادر، و " هو أسمى مخلوق في الكون، بل هو سلطان الأرض ونتيجتها "[٢] " وأنه العالم الأصغر الذي ينطوي على ما ينطوي عليه العالم الأكبر "[٣]

لهذا يقوم بالربط بين الإنسان " أنا " [٤]، والمعرفة بالكون، فيقول: " إن " أنا " مفتاح يفتح الكنوز المخفية للأسماء الحسنى، كما يفتح مغاليق الكون، فهو بحد ذاته طلسم عجيب، ولكن بمعرفة ماهية " أنا " ينحل ذلك الطلسم العجيب، وينكشف ذلك المعمى الغريب " أنا " وينفتح بدورة لغز الكون، وكنوز عالم الوجوب..

وأعلم أن مفتاح العالم بيد الإنسان وفي نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب – ظاهراً – إلا أنها منغلقة – حقيقة – فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحاً يفتح كل أبواب العالم، وطلسماً يفتح به الكنوز المخفية لخلاق الكون، والمفتاح – هو ما فيك من " أنا " إلا أن " أنا " أيضاً معمى مغلق وطلسم منغلق، فإذا فتحت، " أنا " بمعرفة ماهيته الموهومة – وسر خلقته – انفتح لك – طلسم – الكائنات كالآتي:-

إن الله جل جلاله وضع بيد الإنسان أمانة هي " أنا " الذي ينطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبيته الجليلة، وشئونها المقدسة، أي يكون " أنا " وحدة قياسية تُعرف بها أوصاف الربوبية وشئون الألوهية "[٥].

---

(١) أ.د: أحمد عبد الرحيم السايح: أ.د: سامى عفيفي، وقضايا معاصرة في فكر النورسي، ص ٤١.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٦.

(٣) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص١٠، مركز للنشر، القاهره ١٩٩٧م.

(٤) ليس المقصود بها تلك الصفة المذمومة، أنظر الكلمات، ص٦٣٦.

(٥) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٣٥، ٦٣٦.

وهنا يتبين لنا أنه على الرغم من أن " الكون " يمثل مصدراً معرفياً عند النورسي، فأنه

في المقابل يرى أن الإنسان هو مفتاح هذا المصدر ٠

وإذ كان هذا "الكون " يمثل الهيكل المرآتى الذي يعكس صوراً متتابعة مما ينطوي عليه من الحكمة والنظام والجمال والعلم والقدرة والإرادة والمعنى والمغزى المبطلة لكل أوهام العبثية والتصادفية في الخلق والإيجاد ٠

فأنه في المقابل يرى أن " الإنسان " هو " العالم الأصغر " الذى ينطوى على ما ينطوى عليه العالم الأكبر.

" ومع هذا فأنه النورسي يحذر الإنسان من السقوط في مهاوى " أنا " داخل النفس لكي يستطيع فتح مغاليق هذا الكون ٠

وكذلك يحذره من السقوط في سجن الكون خارج النفس، وعدم الإستغراق فيه إلى الحد الذي يجد فيه نفسه وقد ابتلعه الكون، وحبسه في ضيق سجونه، لينسيه مكون الكون وخالق الكائنات كما هو الشأن عند البعض ممن استعبدتهم الطبيعية واسترقتهم سننها ونواميسها.

" فالكونية " حين ننأى بها أن تكون سلماً للأرتقاء إلى المعرفة الإلهية تصبح – في نظر الإيمان مها قدمت من معارف التقدم الحضاري – هبوطاً معرفياً لا ينبغي للإنسان الوقوف عندها والاستغراق فيها، أو أعتبا رها خاتمة المعارف التي لا معرفة فوقها ٠

فهذا الهبوط المعرفي هو هبوط من حرية " اللاكونية " إلى سجون " الكونية " ونزول بالمعرفة من الأعلى إلى الأسفل، وانحدار في الفهم الإدراكي من " اللانهائي " إلى " النهائى " وانتقال في الزمن من البقاء والخلود إلى الزوال والعدم.

فسيدنا " إبراهيم عليه السلام " يضيق صدره بالكون كله، ويجهد للنفاذ من بين جدرانه، والخلاص من قيوده وكسر أغلاله، والارتفاع بمعرفة نحو " اللاكونية " ٠

فأعطى للبشرية نموذج الإنسان الذى يلهبه التوق إلى المعرفة الإلهية التي هي أعلى

المعارف بمقولته الخالدة التى نطق بها القرآن على لسانه وهو يدير طرفه الكسير في أفاق السماوات والأرض فيصرخ مستغيثاً: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} [١] أي أريد خلاص نفسى من سجن الكون الذى سيأفل عاجلاً أم أجلاً، وأريد الانطلاق إلى عالم البقاء والوجود الذى لا يزول ولا يحول، حيث المعرفة الطلقة التى تتهافت إزاء كل معارف الكون بنسبيتها ومحدوديتها..، هكذا يفسر النورسي كلمة سيدنا " إبراهيم عليه السلام ".. [٢] فالمعرفة الكونية هى حصيلة بحث الإنسان وتجربته ومعاناته، لكنها تبقى مع ذلك معرفة تحتية يهبط إليها الإنسان من سماء التكريم الذى حظي به من رب العالمين •

لأن الكون بالأصل خلق ليكون حجة الله على الإنسان، وليكون في الوقت نفسه في خدمة الإنسان، فكلما اتسعت معرفته به اتسعت قدرته على تسخيره لمنافعه ومصالحه الدنيوية وليس العكس

أما المعرفة الإلهية: فهى معرفة فوقية مرتبطة بعرش الرحمن، ولا يرقى إليها الإنسان إلا إذا أستجمع كل طاقاته، وأستنفر قوى " العقل والحس والشعور والخيال والحدس " لتفتح له الطريق إليها، ولتكون رديفته في الفهم عنها ودرك مراميها ومقاصدها "[٣]

وبهذا فأن الأمام النورسي يوجه نظر الإنسان في كل مكان وزمان إلى إستقراء الدليل الكوني بمنهج قرأني يجمع فيه بين الأدلة كلها متعاضدة ومتساندة وتمثل نظرة جامعة إلى الوجود كل •

والنورسي يرى أن اهتمام القرآن بالكون هو اهتمام إنمائى وظيفي، يهتم بالأمور للوصول إلى غايتها لا إلى أوصافها وهيئاتها وخصائصها فقط •

وهذا ما يفرق بين الوعي الكوني الإيماني وبين الوعى الكونى المنقطع عن الإيمان.

ويتحقق الوعي الكوني الإيماني عند النورسي بترابط القرآنين المقروء والمنظور

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (٧٦)

(٢) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص١٢، ١٣.

(٣) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ص١٤.

وتساندهما وتعاونهما في أن يفسر كل واحد منهما الآخر لإيضاح الصورة المعرفية الصافية ٠

فكما أن القرآن المقروء هو مفسر القرآن المنظور، فأن النورسي يؤكد بأن " كتاب الكون المشهود بآياته الشئونية تفسر تلك الآيات القرآنية (أيضاً) وتقربها إلى فهمك برؤية كثير من نظائرها المشهودة لعينك، في تلافيف إختلاف الليل والنهار، وفي معاطف تحول الفصول والاعصار "[١]

إذاً فالمصادر المعرفية عند النورسي هي مصادر يأخذ بعضها برقاب بعض في إندماج قرآني واحد، وذلك لتأصيل معرفة كلية وشمولية، لكى تصبح معرفة حية وفاعله ومؤثرة في الوعى والسلوك.

كما أنه يريد وضع المعرفة في إطارها الموضوعي ، ويريد أسلمتها ، لأن الإسلام هو المنهج القويم الذي جمع كل المصادر التي تعين الإنسان وترقى به إلى المعرفة اليقينية، كل ذلك في بوتقة القرآن الكريم وبهديه وإرشاده.

النورسي يجمع بين: الكون٠٠ والعقل٠٠ والقلب ٠

إن الباحث في رسائل النور يجد أن النورسي يتلمس ويتحسس أي طريق يكون منبعه القرآن وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة الكبرى وهى "معرفة الله" ٠

ومن بين هذه الطرق ما يلي:-

الطريقة الأولى.. والثانية:- التأمل الآفاقى والآنفسى (عقلي، قلبي)

وينطلق النورسي في هذين الطريقين (الآفاقى والآنفسى) من خلال توجيه القرآن الكريم { سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم } [٢] وذلك من أجل الوصول إلى حقيقة الحقائق وهى معرفة الله.

وحين يتحدث النورسي عن "السير الأنفسى" و " السير الآفاقى" فأنه يرى:

---

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوى العربى، ص ٤٤٧، وأنظر.أ. د: أحمد عبد الرحيم السايح، أ.د: سامى عفيفي: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ص٤١.

(٢) سورة فصلت: آية رقم (٥٣)

أن " السير الأنفسي يبدأ من النفس، ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخارج ويحدق في القلب مخترقاً أنانيته ثم ينفذ منها ويفتح في القلب، ومن القلب سبيلاً إلى الحقيقة..

ومن هناك ينفذ إلى الأفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعاً، لأن الحقيقة التى شاهدها في دائرة النفس يراها بمقياس أكبر في الآفاق ٠

وأغلب طرق المجاهدة الخلفية تسير وفق هذه السبيل، وأهم أسس هذا السلوك هو كسر شوكه الأنانية وتحطيمها وترك الهوى وإماتة النفس.

أما النهج الثانى: فيبدأ من الآفاق، ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدوائر الأفاقية الكونية الواسعة ٠

ثم ينفذ إلى دائرة النفس، فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلبي فيفتح في هذا القلب أقرب " طريق إلى الله تعالى " ويشاهد أن القلب حقاً مرآة الصمد، فيصل إلى مقصوده ومنتهى أمله "[١]

والواقع أن القارئ لهذا النص يلمس مسحة صوفية عند النورسي، ولكن يمكن إرجاعها إلى أثر النشئة التى تربى فيها النورسي وعاشها.

ولكن نؤكد أن طريقة التأمل الأنفسى والآفاقي استقاها النورسي من منبع القرآن ليؤكد أن " السياحة الفكرية تفتح أبواب المعرفة والإيمان"[٢].

وأن" التأمل يسوق إلى معرفة الله" [٣]

ومن خلال ما سبق يتضح أن النورسي يتواصل مع المفكرين المسلمين القدامى، ويتلاقى مع أغلب المعاصرين على أهمية الطريقين التى تستند على التأمل الأفاقى والأنفسى من أجل الوصول إلى معرفة الله.

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٧٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٥٣.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٢٤٧.

العقـــل

تمهيد في تعريف العقل.

العقل في اللغة:- تدل مادة "عقل " في اللغة العربية على حالة حبس وتقييد.

قال ابن فارس: العين والقاف واللام أصل واحد منقاس، يدل على حبسه في الشئ، أو ما يقارب الحبسة...فالعقل حبس أو منع، ومنه عقال البعير الذي يمنعه من الانفلات، والمعقل: الذي يلجأ إليه الناس فيمنعهم من عدوهم ونحوه.

وعلى هذا سمى العرب ما في الإنسان عقلاً، لأنه يمنعه من أشياء لولاه لأنساق إليها الإنسان.

قال في تهذيب اللغة: سمى عقل الإنسان الذى فارق به الحيوان عقلاً لأنه يعقله ، أي يمنعه من التورط في الهلكة ، كما يعقل العقال عن ركوب رأسه.

وإذا كان عقال البعير شئ مادى محسوس ، فإن عقل الإنسان غير ذلك ، إنه وإن كان محله جسم الإنسان ، في رأسه أو قلبه أو سائرة (وفي ذلك خلاف طويل) فأنه محس .

ولذا عرفوه بأنه: ملكة ، أو قوة ، أو نور" [1]

مفهوم العقل:

قال أهل العلم:" العقل جوهر مضئ خلقه الله في الدماغ، وجعل نوره في القلب.

وقال أهل اللسان: العقل ما ينجى صاحبه من ملامة الدنيا وندامة العقبى.

وقال حكيم: العقل حياة الروح، والروح حياة الجسد.

وقال آخر: ركب الله في الملائكة العقل بلا شهوة، وركب البهائم الشهوة بلا عقل، وفي أبن أدم ركب كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم.

---

(١) د: عبدا لرحمن بن زيد الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٣٠١، ٣٠٢، نقلاً من معجم مقاييس اللغة – مادة " عقل "

وقال أهل المعرفة: العاقل من اتقى ربه وحاسب نفسه •

وقيل: من يبصر مواضع خطواته قبل أن يضعها •

وقيل: الذى ذهب دنياه لأخرته •

وقيل: الذى يتواضع لمن فوقه ولا يحتقر لمن دونه، ويمسك الفضل من منطقة، ويخالط الناس باختلافهم •

وقيل: الذى يترك الدنيا قبل أن تتركه، ويعمر القبر قبل أن يدخله، وأرضى الله قبل أن يلقاه وقيل: إذا اجتمع للرجل العلم والعمل والأدب يسمى عاقلاً، وإذا علم ولم يعمل، أو عمل بغير أدب، أو عمل بأدب ولم يعلم، لم يكن عاقلاً." [١]

ويقول " السرخسي " في أصوله:" العقل نور في الصدر، به يبصر القلب عند النظر في الحجج بمنزلة السراج، فأنه نور تبصر العين به عند النظر فترى ما يدرك في الحواس، لا أن السراج يوجب رؤية ذلك، ولكنه يدل العين عند النظر عليه •

فكذلك الصدر الذى هو العقل، يدل القلب على معرفة ما هو غائب عن الحواس من غير أن يكون موجباً لذلك، بل القلب يدرك العقل "[٢]

" ويقول " الغزالى " في المنخول:" العقل هو صفة يتهيأ للمتصف بها درك العلوم والنظر في المعقولات "[٣]

"وقال الحارث بن أسد المحاسبي في "العقل وفهم القرآن " قوله: إن العقل غريزة جعلها الله في الممتحنين من عباده، لا يوصف بجسم ولا لون، ولا يعرف إلا بأفعاله ".

والذين عرفوا العقل بأنه جوهر من العلماء المسلمين – لم يقصدوا بحوهريته مفارقته للمادة وقيامه – مستقلاً – بنفسه كالعقل الفعال في الفلسفة اليونانية، وإنما أرادوا بيان

---

(١) محمد رضوان خليل مجدلاوى: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص٢٦١، ٢٦٢، نقلاً من، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوى، ٢/ ص١٢٠١، ١٢٠٠.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص٢٦٢، نقلاً من – أصول السرخسى ١/ ص ٣٤٦.

(٣) المرجع السابق نفسه: ص٢٦٢، نقلاً من – المنخول للغزالي، ص٤٥.

إختلاف فعله عن فعل الأعضاء المادية في الإنسان، كالسمع، والبصر، والحس، وقصدوا من تجرده عن المادة: سبق مبادئه المدركات الحسية، ولهذا فأنهم يجعلون فعله مقترناً بالمادة.

"وقال الجرجاني في "التعريفات" عن العقل: " إنه جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله- فهو-: جوهر روحاني ، خلقه الله متعلقاً بالبدن "[1]

وعرفه الدكتور" يوسف العالم " بقوله: " العقل قوة في نفس الإنسان يستطيع عن طريقها إدراك العلوم، وتحصيل المعارف، وله عدة أطلاقات ومعاني مختلفة عند العلماء والحكماء والعامة، والذى نقصده هو القوة الإدراكية التى تلى قوة الحواس، وفي مجال يفوق مجال الحواس ودون مجال الوحي الإلهي الذي يأتي عن طريق الرسل لهداية العقل الإنساني إلى سواء السبيل

ويجنبه الزلل والضلال، ويخرجه من الظلمات إلى النور "[2]

وهذا التعريف يوضح مفهوم العقل ووظيفته ومكانته ودرجته، وهذا يتوافق كثيراً مع رؤية النورسي للعقل، إلا أن النورسي يرفع من مكانة العقل، حيث يجعل الحواس جنود للعقل.

---

(١) د: عبدا لرحمن بن زيد الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٣٠٢.

(٢) محمد رضوان خليل مجدلاوي: أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور، ص٢٦٤، نقلاً من د/ يوسف حامد العالم: المقاصد العامة في الشريعة الإسلامية، ص٣٢٨.بتصرف.

العقل مصدراً للمعرفة.

يؤكد النورسي على حقيقة ما أقره الإسلام، وأتفق عليه الفلاسفة المسلمون باعتبار العقل مصدراً من مصادر المعرفة ٠

" بل إن موجودات هذا الكون بأجمعها تشهد على وحدانية خالقها وأنه واجب الوجود وأن الإنسان بما جهزه الله من عقل وفكر أفضل مرآة لأسماء الله الحسنى.

لذا يعد سلطاناً على سائر المخلوقات "[١]

كما أن " كل ذي شعور يعلم أن الله سبحانه قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، ورباه أحسن تربية، وزوده من الأجهزة والأعضاء – كالعقل والقلب – ما يتطلع به إلى السعادة الأبدية ويسوقه نحوها "[٢]

وتكتنز رسائل النور بمدح العقل وكونه آية من آيات الله وأنه " أثمن نعمة "[٣] وهو " مفتاح الكنز "[٤] المعرفي، وعلامة على تميز الإنسان ٠

" ذلك لأن الإنسان – بما منح من عقل وفكر – ذو علاقة فكرية وثيقة بالماضي والمستقبل فضلاً عما هو عليه من زمان حاضر، حتى أنه يتمكن من أن يزوق لذائذ تلك الأزمنة ويشعر بآلامها، خلافاً للحيوان الذي لا تعكر صفو لذته الحاضرة الأحزان الواردة من الماضي، ولا المخاوف المتوقعة في المستقبل، حيث لم يمنح الفكر "[٥]

ويتميز الإنسان بالعقل عن سائر الكائنات، أصبح " العقل هو أفضل أجهزة الإنسان

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص٦٠٥.

(٢) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٣٠١، وانظر – الشعاعات، ص٢٦٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١١٦.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص٢٤٠.

(٥) المرجع السابق نسه ص١٦٠.

وأرقاها "[١]

ويؤكد النورسي على ما قرره الشرع وتوافق عليه علماء المسلمين جميعاً من ارتكاز التكليف على العقل، وأن العاقل هو المنوط بالتكليف، وخطاب الشرع متوجه إليه " وذلك لأن سر التكيف الإلهي يقتضى فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه "[٢]

ويقول النورسي في موضع أخر: " ذلك لان سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه "[٣]

كما " أن الإيمان يحافظ على حرية العقل في الاختيار ولا يسلبها منه "[٤] وذلك " لأن المسائل الإيمانية لا يتم الحصول عليها عن طريق العلم وحده... إلا إذا دخلت معدة العقل والفهم "[٥]

وإذا كان النورسي قد تحدث عما يميز الإنسان عن بقية الكائنات بالعقل، فأننا نجد أنه يبرز ما تميز به الإسلام عن سائر الأديان من خلال تعظيمه وتحكيمه للعقل فيقول:-

" إن " لا يعلمون " وأمثالها من فواصل الآيات من " لا يعقلون " و " لا يتفكرون " و" لا يتذكرون " وغيرها، تشير إلى أن الإسلامية مؤسسه على العقل والحكمة والعلم، فمن شأنها أن يقبلها كل عقل سليم، لا كسائر الأديان المبنية على التقليد والتعصب "[٦]

كما " أن الإسلام يحمى أهل العلم، ويستشهد العقل والعلم، ويوقظهما في النفوس، فضلاً عن أنه يستشهد العقل وينبهه بإحالة كثير من الأمور – في القرآن الكريم – إلى العقل – ويحثه على التدبر والملاحظة بقوله تعالى: (أفلا يتفكرون..... أفلا يتدبرون..... أفلا تعقلون).

---

(١) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١١٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٠٣، ٧٠٤، وأنظر: المكتوبات، ص٢٧٢.

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص١١٨.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٠٥، وأنظر: المكتوبات، ص٢٧٤.

(٥) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٢٦.

(٦) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص١٦٤، وانظر: المثنوي العربي، ص٤٢٩، ٤٥٨.

فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل بهذا مقاماً رفيعاً بأسم الدين، ويوليهم أهمية خاصة فلا يعزل العقل، ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى كما هو في المذهب الكاثوليكي...

إن أساس النصرانية الحاضرة – لا النصرانية الحقة – وأساس الإسلام يفترقان في نقطة مهمة "[1] ألا وهي احترام الإسلام للعقل وتحكيمه.

بل " أقسم بالقرآن العظيم ذو الأسلوب الحكيم، أنه ما ألقى النصارى (في الوقت الحاضر، لا النصارى الحقة) وأمثالهم في وديان الضلالة نافخاً فيهم الهوى، إلا عزل العقل وطرد البرهان وتقليد الرهبان، وما جعل الإسلام يتجلى دوماً، وتنكشف حقائقه وتنبسط بنسبة انبساط أفكار البشر، إلا تأسسه على الحقيقة وتقلده البرهان ومشاورته العقل واعتلائه عرش الحقيقة، ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد، ومحاكاته لها.

ألا يشاهد كيف يحيل القرآن الكريم في فواتح أكثر الآيات وخواتمها البشر إلى مراجعة الوجدان واستشارة العقل "[2]

وتتوافق رؤية النورسي مع ما قرره الأمام " محمد عبده "، حيث جعل من مسألة " معقولية الحقائق الإسلامية " أحد الأمور الجوهرية التي تفصل بين الإسلام والنصرانية في علاقة كل منهما بالمعرفة والمدنية.

فالإمام " محمد عبده " يرى أن من بين المآخذ على النصرانية – والتي يزعم أصحابها أنها تحتفي بالعلم والعقل – جعلها " الإيمان بغير المعقول " أصلاً من أصولها .

بل هو عند عامة المسيحيين أصل الأصول، ولا يختلف فيه " كاثوليك، ولا أرثوذكس والبروتستنت " إذ يرون " أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما هو فوق العقل، بمعنى ما يناقض أحكام العقل، وهو مع ذلك يجب الإيمان به.

---

(١) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، صـ٤١٨، ٥٦٢

(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٥٢.

قال القديس أنسليم: يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت.

أما الإسلام – كما يرى الإمام محمد عبده – فهو على العكس من ذلك تماماً، حيث أن أول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده وسيلة الإيمان الصحيح "[١]

كما يتلاقى النورسي مع غالبية العلماء والفلاسفة المسلمين (قديمهم وحديثهم) بتوافق وتلازم النقل والعقل وعدم معارضتهم.

" فالشرع يسير في طريق العقل، والعقل يسير بنور الشرع.

فالعقل مع الشرع نور على نور " [٢]

وإذا نظرنا إلى مقاصد الشريعة، فإننا نجد أن الشرع نزل لحفظ الدين والنفس " والعقل " والنسل والمال.

كما أن الشرع يجعل من حرية إعمال العقل والتفكير لأبعد مدى يسمح به الشرع من أهم الأشياء للوصول إلى المعرفة الصحيحة اليقينية •

ولهذا يقول النورسي:- " إن القران على الرغم من إشارته إلى الحالة الأصلية بخلق الكون وإلى أصل العالم.. فإنه لا يقيم أيما حد مهما يكن في وجهه قوى العقل البشري، ولكنه يتركها طليقه تتخذ السبيل الذي تريد " [٣]

ومما يؤكد هذا " أن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتمها، تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك أيها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة "[٤]

---

(١) أ. د: احمد عبدا لرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، ص٥٣،٥٢، نقلاً من، محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ص٢٠، ٤٣ بتصرف واختصار.

(٢) أ.د: محمد سيد أحمد المسير، التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، ص ٧١.بتصرف.

(٣) بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز، ص ٢٧٦.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

ويبين النورسي أن العقل والنقل صَدق كل منهما حقائق الإسلام، فيقول:-

" التحيات للحاكم الحكيم الرحمن الذي لم يزل... الذي فضلنا بالإسلام، وهدانا إلى الصراط المستقيم بشريعته الغراء، تلك التي صدق العقل والنقل معا حقائقها السابقة، الراسخة في أرض الحقيقة أصولها، والمنتشرة في سماء الكمالات فروعها، والحاملة بسعادة الدارين ثمارها "[١]

فالنورسي يريد أن يثبت أولاً: " معقولية الحقائق الإسلامية "[٢]

ثانياً:- أن تلازم العقل والنقل هو الذي أبعد الشكوك والأوهام من ساحة المعرفة الصحيحة الموصلة لليقين، فيقول: " لما كان المهيمن هو الحق والبرهان والعقل والشورى في خير القرون وعصور السلف الصالح، لم يكن للشكوك والشبهات موضع ٠

كذلك نرى أنه بفضل انتشار العلوم في الوقت الحاضر وهيمنتها بصورة عامة، وفي المستقبل إن شاء الله، سيكون المهيمن هو.....، العقل بدلا من الطبع "[٣]

ثالثا:- التأكيد على أننا " نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان.

فلسنا كمن ترك التقلد بالبرهان تقليدا للرهبان كما هو دأب أتباع سائر الأديان.

وعلى هذا: فإن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والمنطق والبرهان " [٤]

و " إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلا ويؤول النقل، ولكن ينبغي لذلك

---

(١) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص٤٥١، وأنظر صيقل الإسلام، ص ٢١.
قارن ذلك مع قول الإمام الشاطبي (٩٧٠ هـ) في (الموافقات) حيث يؤكد على أن عقائد الإسلام وحقائق الإيمان لا تتناقض مع العقل، ذلك لأن هذه الحقائق التي يوردها القرآن حقائق معقولة، وبناءاً على هذا " فالأدلة الشرعية لا تنافي العقول "، سلسلة التراث – ج٣ صـ ٢٠،٢٥ – مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٦ م.

(٢) بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٤٥١.

(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥١.

(٤) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٥.

العقل أن يكون عقلاً حقاً " [١]

ولكن ما هو ذلك العقل – الذي عبر عنه النورسي – الذي ينبغي أن يكون عقلاً حقاً؟.

يجيب النورسي عن هذا السؤال ٠

حيث يرى النورسي أن "العقل المسلم " ينبغي أن يكون قرآني التصور لمفاهيم التوحيد ولصفات الكمال والجلال التي يتصف بها الله سبحانه وتعالى.

وأن هذا " العقل " الذي تُشكل المفاهيم القرآنية تصوراته عن الألوهية والربوبية.. لا يمكن أن يرقى إلى قمته عقل كائناً ما كان ما دام محجوباً عن القرآن " [٢]

فالنورسي يريد أن يبين أن الشرع هو الحارس الأمين للعقل، خوفاً من انزلاقه في الضلال فالتاريخ يحدثنا أنه " بسبب غياب العقل الإيماني " من أدعى " الألوهية " و " الربوبية " من الملوك والأباطرة والفراعين، وغيرهم على اختلاف مدعياتهم الباطلة، وما خلفوه وراءهم من جروح وآلام في الشعوب والحضارات " [٣]

إذاً فالنورسي يؤكد على أهمية ومكانة العقل في الإسلام الذي هو " أثمن نعمه "[٤]

ويريد له أن يكون منطلقه من القرآن، وأن يتآخى معه ولا يتنافر، لان كلاهما يصدق ما أقره الآخر وتوصل إليه ٠

وهذا يثبت عدم عبثية أن يعلق الشرع شرط التكليف على العقل، ويضع معيار، سن البلوغ الشرعي، ولكن العبث أن لا نضع العقل في مكانته الصحيحة، فإن وضعناه بأقل مما يجب جُرنا عليه وبخسناه حقه أيضا، والمولى عز وجل يقول { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ } [٥]،

---

(١) المرجع السابق نفسه: ص ٢٩.

(٢) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص ١٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص ١٠.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١١٦.

(٥) سورة المطففين: آية رقم (١).

والتطفيف يكون بالزيادة أو النقصان، ليس للماديات فحسب، بل للمعنويات أيضا على السواء.

إذاً فالعقل الحق عند النورسي هو: " العقل الإيماني " أو كما يسميه كذلك: " العقل القرآني "

فإذا أصبحت العقول هكذا: " انفتحت لها نافذة عظيمة على المعرفة الإلهية، حيث يطل منها نظر العقل الحاد على وجود الخالق العظيم "[١]

بل " إن عقول البشر ستقول بلا شك أمام تلك الحقائق الإلهية والحقائق الكونية التي أظهرها القرآن الكريم: صدقت، وستقبل تلك الحقائق بعد استماعها إلى بيان القرآن بصفاء القلب وتزكية النفس، وبعد رقي الروح واكتمال العقل... وستباركه " [٢]

كما أن " عقل البشر وإن لم يدرك أحوال الآخرة والبرزخ بمفرده ولا يراها وحده، إلا أن القرآن يبينها ويثبتها إثباتاً يبلغ درجة الشهود " [٣]

ويبين النورسي " أن القران الكريم ينشر منسوجات الصنعة الإلهية ويعرضها على أنظار البشر ثم يلفها ويطويها في الخلاصة ضمن الأسماء الإلهية أو يحيلها إلى العقل "[٤]

"وهكذا بعد سرد منسوجات الصنعة الإلهية يسوق العقل إلى إكتناه حقائقها تفصيلاً فيقول: (لآيات لقوم يعقلون) آخذاً بزمام العقل إلى التدبر وموقظا إياه إلى التفكر "[٥]

إذاً فالنورسي يؤكد على أهمية العقل كمصدر معرفي، وله حق تأويل النقل إذا وجد تعارض بينهما .

" ثم إن إفتعال معركة بين الشرع والعقل ليس في دين الإسلام، فلا تناقض بين الشرع

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٧٩٠.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات ص٤٧١.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٤٧١.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٤٨٤.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٤٨٦.

والعقل، وصدق الله حيث يقول {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} [١]،[٢]

(١) سورة النساء، الآية رقم (٨٢)

(٢).أ.د/ محمد سيد أحمد المسير: التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، ص ٧٠.بتصرف.

وهناك مؤلفات كثيرة حول هذه القضية منها:- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، لابن رشد

(٥٢٠ - ٥٩٥هـ) يقول فيه:- " فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له "

- درء تعارض العقل والنقل لإبن تيمية (٦٦١- ٧٢٨ هـ)، نقلا من، التمهيد في دراسة العقيدة صـ ٧٠

obeikandl.com

التلازم والتوازن بين العقل والقلب

يبين النورسي أن المعرفة في " الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء التي تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته.

ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.

وإنما تتحرك بخطى العقل والقلب معاً وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى فتحلق إلى " أوج العلا "[١].

ويؤكد النورسي أن القرآن الكريم هو الذي يقوم بإمداد العقل والقلب لتحقيق هذا التلازم وذلك التوازن، فيقول: " إن القران قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقول "[٢] لكي يشكلان إتحاداً متجانساً ومتوازناً يسمى اللب .

وذلك لأن " العقل والقلب هما بحكم نواة الإنسان ولبه، وبفضلهما استطاع أن يصبح ثمرة الكون، ويملكان من القدرة على الانبساط والاتساع ما يمكنهما أن يطويا العالم كله، رغم صغرهما فرأى السائح: أن القلوب والعقول برازخ إنسانيه بين عالمي الغيب والشهادة، فالعلاقات والعلامات بين ذينك العالمين- بالنسبة للإنسان- تجرى في تلك النقاط .

لذا خاطب عقله وقلبه معاً قائلاً: " أقبلا، فإن أقصر الطرق الموصلة إلى الحقيقة هي من بابكما، فهيا لنستفد بمطالعتنا العقول والقلوب المتصفة بالإيمان، ودراستنا كيفياتها وألوانها فهذا درس لا يؤخذ من الألسنة كما هو الحال في الطرق الأخرى"[٣]

ويصرح النورسي في رسائله بأنه عايش ومازال حالة التلازم والتوازن بين القلب والعقل فيقول: " سلكت طريقاً غير مسلوك بين العقل والقلب: إن عقلي قد يرافق قلبي في سيره فيعطى القلب مشهودة الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة

---

(١) بديع الزمان النورسي: أنوار الحقيقة، ترجمة إحسان قاسم-ص١٢٠ سوزلر، القاهرة،٢٠٠٦م.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٤٣٧.

(٣) بديع الزمان لنورسي: الشعاعات، ص١٦٠.

المبرهن التمثيلي"[١] وبهذا " صار عقلي ممزوجاً بقلبي " [٢] و" ساعياً بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب " [٣] وكل هذا يتحقق" بطراز برهاني قرآني يمتزج فيه العقل والقلب معاً " [٤] ويرى النورسي كذلك أن الحصول على المعرفة اليقينية والعلوم النافعة يستدعي الامتزاج بين العقل والقلب لإجلاء الحقائق، فيقول: " إن ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجها تتجلى الحقيقة " [٥].

(١) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٦٦ وأنظر- المثنوي العربي، ص٤١٣. بتصرف.

(٢) بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٦٨.

(٣) المرجع السابق نفسه: ص١٦٩.

(٤) بديع الزمان النورسي: الملاحق، ص١١١.

(٥) بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص٤٢٨.

obeikandl.com

الإلهام

الإلهام في اللغة: التلقين، تقول: ألهمه الله الخير، أى لقنه إياه.

وجاء في القرآن قوله تعالى: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [١]

وعرفه ابن سينا: بأنه ما يلقيه العقل الفعال في نفس الإنسان المؤيدة بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية " [٢]

وقول ابن سينا" المؤيدة بشدة الصفاء وشدة الاتصال " هو ما عبر عنه النورسي بـ" الإلهامات الصادقة"[٣] التي لا تختلط فيها " الإلهامات والوساوس"[٤] فتجعلهم " يتلبسون أحياناً حالات خارجه عن طور العقل والمحاكمات المنطقية "[٥].

" أما الإلهام في عرف الصوفية: فأنه النفث في الروع، والإيقاع في القلب من العلم غير القائم على الاستدلال والنظر.

وظهور هذا العلم لدى الإنسان يسمى: إشراقاً، وكشفاً، وذوقاً، ويسمون الموطن الذى يقع فيه الإلهام ويظهر فيه الإشراق: بالبصيرة، ويعتبرونها إحدى مصادر المعرفة " [٦]

والنورسي يرى" أن جميع" الإلهامات " الغيبية التي ترشد قلوب الناس وتفقهها بالعلوم والحقائق وتعلم الحيوان الاهتداء إلى توفير ما يحتاجه من حاجات... هذه الإلهامات الغيبية بأنواعها المختلفة تُشعر كل ذى بصيرة بوجود رب رحيم وتشير إلى

---

(١) سورة الشمس: آية رقم (٨)

(٢) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الدينى والفلسفي، ص٢٢٩، نقلاً من القاموسى المحيط فصل اللام، باب الميم، وأنظر، (المعجم الفلسفي(١/ ١٣١).

(٣) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٦٣.

(٤) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٢٠٦.

(٥) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٤٤١، ٥٨٨-٥٩٠،

(٦) د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص٢٢٩، نقلاً من معجم مصطلحات الصوفية، ص٢٣.

ربوبيته"[١]

وبالتأمل في النص السابق نجد أن النورسي يقول: " الإلهامات الغيبية " وذلك لسد الطريق " أمام شطحات بعض المتصوفة الذين يشبهون إلهاماتهم بأنها وحي وكلام من الله"[٢] ويصف النورسي حالهم هذا بأنه من أخطر المهالك، ويرجع السبب في ذلك إلي: " أن المعاني الجزئية التي ترد على قلب السالك بشكل إلهام، يتخيلها- هذا السالك- كلام الله، ويعبر عن كل إلهام وارد بـ " آية " فيمتزج بهذا الوهم عدم احترام لتلك المرتبة السامية العليا للوحي..

نعم، إن كل إلهام ابتداءاً من إلهام النحل والحيوانات، إلى إلهام عوام الناس، وإلى إلهام خواص البشرية، وإلى إلهام عوام الملائكة، وإلي إلهام المقربين الخواص منهم، إنما هو نوع من الكلمات الربانية.

ولكن الكلام الرباني تجلى الخطاب الربانى المتنوع المتلمع من خلال سبعين ألف حجاب حسب قابليات المظاهر والمقامات.

أما" الوحي ": فهو الاسم الخاص لكلام الله جل وعلا، وأبهر مثاله المشخص، هو الذي أُطلق على نجوم القرآن، وكل منجمة منه " آية " كما ورد توقيفاً.

فتسمية هذه الأنواع من الإلهامات بـ " الآيات " خطأ محض "[٣].

" أما سائر الكلمات الإلهية (أي الإلهامات): فأن قسماً منها كلام نابع باعتبار خاص وبعنوان جزئي، وتجل جزئي لاسم خصوصي، وبربوبية خاصة، وسلطان خاص ورحمة خصوصية.

فدرجات هذه الكلمات مختلفة متفاوتة من حيث الخاص والكلى، فأكثر الإلهامات من

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٧٨٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: أنوار الحقيقة(مباحث في التصوف والسلوك) ص٩٠، ترجمه إحسان قاسم، سوزلر القاهرة،٢٠٠٦م

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ص٥٧٨.

هذا القسم إلا أن درجاتها متفاوتة جداً.

فمثلاً: إن أبسطها وأكثرها جزئية هي إلهام الحيوانات، ثم إلهام عوام الناس، ثم إلهام عوام الملائكة، ثم إلهام الأولياء، ثم إلهام كبار الملائكة.

ومن هذا السر نرى أن ولياً يقول: "حدثني قلبي عن ربي" أي بهاتف قلبه، ومن دون وساطة ملك، فهو لا يقول: "حدثني رب العالمين" أو نراه يقول: "إن قلبي عرش ومرآة عاكسه لتجليات ربي" ولا يقول: "عرش رب العالمين" (١)

إذاً، فرغم أن النورسي يؤكد على الإلهام كمصدر للمعرفة، إلا أنه لا يرتضي به كمصدر وهو ممزوج بوساوس الشيطان والمزالق.

ولهذا أراد أن يوضح المسار الصحيح لهذا المصدر ليثمر الغاية الصحيحة المرجوة منه.

ويؤكد النورسي "أن الإلهامات الصادقة مع أنها تتشابه – من جهة – مع الوحي من حيث أنها نوع من المكالمة الربانية، إلا أن هناك فرقين:-

أولهما: أن معظم الوحي الذي هو أسمى وأعلى من الإلهام بكثير، إنما يتم بوساطة الملائكة بينما أغلب الإلهام يتم دون وساطة...

الثاني:- أن الوحي صافٍ "ودون ظل، خاص للخواص •

أما الإلهام ففيه ظل واختلاط ألوان، وهو عام وله أشكال متنوعة ومتفاوتة جداً، كإلهامات الملائكة وإلهامات الإنسان، وإلهامات الحيوان، وهي بأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة جداً تبين مدى سَعة وكثرة الكلمات الربانية" (٢)

ويرى الإمام النورسي أن في الإنسان استعداداً فطريا للتعامل مع الإلهام باعتباره مصدراً للمعرفة مثله مثل باقي المصادر (الوحي، والكون...) التي يتكامل معها ويستفيد منها بما زود به من العقل والحواس واللطائف •

---

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص١٤٧، ١٤٨.

(٢) بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ص١٦٣، ١٦٦. بتصرف.

ولذلك يسمى الإلهام بأنه الحدس المضاعف .

" والحدس: هو سرعة انتقال في الفهم "[١]

وأهم ما نستطيع خلاصته (بلمحة سريعة) من الفصل الرابع، هو ما يلي:-

- لقد عاصر النورسي فترة هي أخطر فترات التاريخ علي المجتمع التركي، إذ رأى أن أخطر منزلق تنحدر فيه الأمة إلي الهاوية، هو الجهل والانعدام المعرفي وتوسيع الهوة بين الدين الإسلامي وبين الغرب، مما أدى إلي اعتقادهم بأن مبادئ الإسلام تتناقض مع حقائق العلم والمعرفة.

هذا بالإضافة إلي ما قام به النظام بعد إلغاء الخلافة من طمس ومحو ما هو راسخ في عقول الأفراد من تعاليم الدين، وخاصة الناشئة، وتشكيكهم في وجود الله ومعرفته، ومسخ أي معرفة إيمانية.

لهذا وغيره رأى النورسي أن قضية المعرفة من أهم القضايا المركزية في رؤيته التجديدية، لأن معالجتها وصحوة العقل من كهفيته المطبقة، هي المدخل الطبيعي لإعادة التوازن إلى شخصية الأمة.

ومن خلال البحث في النصوص المستخلصة والمستخرجة من رسائل النور نستطيع أن نقف على مفهوم المعرفة عند النورسي، وهي لا تخرج عن معرفة الله ويجعل الإيمان ملاصقاً وملازماً لها، حيث أنه لا يتصور إيمان بدون معرفة أو معرفة بدون إيمان.

- يشترك النورسي مع الأئمة الذين نقدوا علم الكلام من أمثال أحمد بن حنبل والغزالى وابن رشد وابن تيمية وجلال الدين الرومى، وغيرهم من العلماء والمفكرين والصوفية، الذين شككوا في قيمة الكلام كمنهج يقود إلى معرفة الله المعرفة الكاملة.

كما أنه لا يرتضى بالمنهج الصوفي كطريق يقود إلى معرفة الله لأنها معرفة ناقصة ومبتورة.

---

(١) بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي، ص٤٣١.

أما موقفه من المعرفة الفلسفية: فأنه يرفض الأخذ بالمعرفة الفلسفية المادية التي لا تتوافق مع المعرفة القرآنية، ويدعوا إلى مشاهدة ثروة القرآن المعرفية وغناه الواسع لبناء نوع من المركزية المعرفية الإسلامية.

ويؤكد النورسي أن هذا لا يلغي دور الفلسفة الحديثة في مضمار البناء المعرفي الحضاري، ولا يسد باب التلاقح الفكري والتفاعل المعرفي، لاسيماً تلك التي تتماس مع الحقيقة العلمية، وهو ما يجعلها تتلاقى مع تحفيزات القرآن فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

- يسير النورسي بتوافق تام مع ما قرره الإسلام من إمكان المعرفة، وتأكيده على وجود الأشياء والموجودات، وقبوله الشك المنهجي - في ضوء ما قرره الإسلام - الذي يبدأ به الإنسان من أجل الوصول إلى المعرفة الحقة.

ويؤكد النورسي على أن الذين ينكرون المعارف سقطوا في حضيض الحماقة والجهل والضلالة، وأساءوا إلى إنسانية الإنسان المكرم.

هذا بالإضافة إلى رفضه إلى الشك المطلق، الذي يؤدى بالإنسان إلى اليأس والقنوط، مما يجعله مسخاً لا حراك له في الحياة.

- يتلاقى النورسي مع معظم المفكرين والعلماء المسلمين في اتفاقهم على أن أهم مصادر المعرفة التي يناها الإنسان هو " الوحي " الذي يكشف للإنسان حقائق ما كان ليصل إليها بدونه.

ويرى النورسي أن أفضل معراج للوصول والعروج إلى عرش الكمالات (وهو معرفة الله تعالى) هو المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، وهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله واشمله لبنى الإنسان.

وهو بهذا يدعو المسلمين والعقلية الفلسفية المسلمة إلى البحث والتنقيب في خزون المعرفة القرآنية، بدلاً من الانغماس والسير في ركاب الفلسفة اليونانية دون غيرها، وإعمال ما لدينا من معرفة موحى بها من عند الله تخاطب العقل والقلب، وتنطلق من الكون والإنسان والربط بينهما في العديد من الآيات، إلى كونهما قد ركبا بشكل يجعلهما " مناظرين

" لما يمكن أن يخبر به القرآن من أمور غيبية.

كما يلفت أنظارنا إلى طريقة المنهج القرآني في المعرفة، ومن أهمها ضرب الأمثال والتي استخدمها النورسي في رسائله، ويعترف بأنها نعمة أنعمها الله عليه وذلك لأنه بمنظار ضرب الأمثال يمكن: إظهار الحقائق البعيدة أنها قريبة جداً واختراق الأبعاد في مختلف الاتجاهات والحدود والحواجز... وغيرها مما اشتملت عليه ضرب الأمثال من دلالات وخصائص اقترنت بها، وهي تجمع بين القوة والتساند والتدرج والتواصل والشمول.

- من خلال البحث في رسائل النور، نرى أن النورسي يعطي الأنبياء - وهو يستعرض وظيفتهم - مهمة التنوير والمعرفة وهداية الناس إلى ما يحققون سعادة الدنيا والآخرة، وينظر إلى شخصية النبي المعنوية بأعتبارها شمس الكائنات، والسراج المنير للخلق أجمعين، لأنه يضيء الطريق للإنسانية من اجل الوصول بهم إلى معرفة الله.

كما يتجلى أن أبرز الوظائف التي يسندها النورسي للنبي هي أنه معرف وموصل إلى معرفة الله.

- يستعرض النورسي في رسائله الآيات الكونية لاشتمالها على البراهين الدالة على معرفة الله ووحدانيته، وأن الكون فتح أفاقاً أرحب ونوافذ أسطع إلى معرفة الله.

والنورسي ينوه إلى الكون بأعتباره كتاب صمداني، ينطوي على معاني عميقة وغزيرة، يجب التعرف عليها، ليستقي منها الإنسان ما يوصله إلى معرفة الله مع الحذر وعدم السقوط في مستنقع الكون وتأليه الطبيعة.

ولهذا فأن النورسي يوجه نظر الإنسان في كل مكان وزمان إلى استقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني، وذلك لترابط القرآنين " المقروء والمنظور " وتسندهما وتعاونهما، في أن يفسر كل واحد منهما الأخر، لإيضاح الصورة المعرفية الصافية.

- يسير النورسي على حقيقة ما أقره الشرع وأتفق عليه الفلاسفة المسلمون باعتبار العقل مصدراً من مصادر المعرفة.

وتكتنز رسائل النور بمدح العقل، وكونه آية من آيات الله وأنه " أثمن نعمة " وهو "

مفتاح الكنز " المعرفي، وعلامة تميز الإنسان عن سائر الكائنات... بل إن العقل هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها.

ويتجلى موقف النورسي من العقل بتأكيده على ما قرره الشرع وتوافق عليه علماء المسلمين جميعاً من ارتكاز التكليف على العقل.. وأن سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه.

كما يتفق النورسي مع الإمام الشاطبي ومحمد عبده ومحمد الغزالي على مسألة معقولية الحقائق الإسلامية، وهي أحد الأمور الجوهرية التي تفصل بين الإسلام والنصرانية في علاقة كل منهما بالمعرفة والمدنية.

كما يتلاقى النورسي مع غالبية العلماء والفلاسفة المسلمين (قديمهم وحديثهم) بتوافق وتلازم النقل والعقل وعدم معارضتهم، فالشرع يسير في طريق العقل... والعقل يسير بنور الشرع، فالعقل مع الشرع نور على نور.

ويؤكد النورسي بأنه إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلاً ويؤول النقل ولكنه ينفرد عن سابقيه بأنه حدد خصائص ومواصفات هذا العقل الذي له حق تأويل النقل، وهو ما نستطيع أن نسميه " العقل الإيماني " أو كما يسميه النورسي " العقل القرآني ".

- يرى النورسي أن في الإنسان استعداداً فطرياً للتعامل مع الإلهام بأعتباره مصدراً للمعرفة، ويتلاقى مع ابن سينا في تعريفه للإلهام.

ورغم أن النورسي يقر بالإلهام ويقدمه كمصدراً للمعرفة، فأنه يعرض ويقدم هذا المصدر برؤية تختلف اختلافاً جذرياً عما هي عليه عند الصوفية حيث أنه رأى أنهم قد شوهوا هذا المصدر بشطحاتهم وخلطهم.

وهذا ما دعاه لان يطرح في رسائله إطاراً محدداً وتصوراً مصوناً يحمي به هذا المصدر ليؤدى دوره كمصدر معرفي بعيداً عن الشطحات والمفاهيم المعكوسة، وذلك من خلال قوله: " الإلهامات الصادقة " وقوله " الإلهامات الغيبية " وذلك من أجل سد الطريق أمام شطحات بعض المتصوفة، الذين يشبهون إلهاماتهم بأنها وحي وكلام من عند الله، وهذا ما يتميز به النورسي.

ومن أجل الإيضاح وعدم الخلط فأنه يقوم ببيان الفرق بين الإلهام والوحي.

إذاً فرغم أن النورسي يؤكد على الإلهام كمصدر لمعرفة الخالق، إلا أنه لا يرتضي به كمصدر وهو ممزوج بالوساوس الشيطانية والمزالق والخلط المشين ولهذا أراد أن يوضح المسار الصحيح لهذا المصدر ليثمر الغاية الصحيحة المرجوة منه.

- يتضح مما سبق أن النورسي أراد أن يقيم عدة مرتكزات معرفية لكي تكون سلماً يرتقي عليه الإنسان المسلم إلى أعلى درجات الإيمان والمعرفة اليقينية، ولكي تصل به إلى الازدهار والتقدم المعنوي والحضاري الذي يليق به كإنسان مسلم.

ويبدو لي أن أهم هذه المرتكزات (المعرفية) وأبرزها هي ما يلي:-

- المرتكز المعرفي الكوني للاستخلاف، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالكون ودعوته إلى التأمل والسير في الأرض واستعمارها وتسخيرها في تحقيق الأمانة.

- المرتكز المعرفي التوحيدي، وذلك بربط الإنسان الخليفة بخالقه، وجعله متصلاً بالله سبحانه وتعالى.

- المرتكز المعرفي الحضاري للاستخلاف، وذلك بتوجيه الإنسان الخليفة إلى الجمع بين متطلبات الجسد والروح... والواقع والمثال.

- المرتكز المعرفي الأخروي، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالجزاء الأخروي المضمون في حالة استقامته على الطريقة، وحمله الأمانة على وجهها الصحيح، وهذا المرتكز هو الذي يقدم الدعم النفسي والمعنوي للإنسان، عندما يضمن له ثمرة جهاده وبحثه ونتيجة عمله للصالحات.

أسأل الله القبول والإخلاص في القول والعمل.

وعلى الله قصد السبيل، انه بالإجابة جدير، وهو على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الخاتم الأمين.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الخاتمة

النتائج التي انتهت إليها أبحاث الرسالة

من فصول الرسالة وأبحاثها والمسائل التي تناولتها نستخلص النتائج الآتية:-

١- إن نشأة النورسي وتربيته في أسرة تتسم بالورع والتقوى والتمسك بأحكام الشرع الحنيف وفي بيئة نقية تحافظ على القيم والمبادئ والتقاليد، كان لهما أكبر الأثر في تكوين شخصيته المتزنة الهادفة لحب الخير والانضباط والالتزام في الفعل والسلوك، واتصافه بالأخلاق الفاضلة الحميدة والقناعة والرضا وصونه عزة العلم بعدم النظر إلى الحرام، هذا بالإضافة إلى شجاعته وبسالته وجهاده.

٢- ظهور ملامح النبوغ والذكاء على النورسي منذ الصغر، وسعيه لتحصيل العلوم الدينية والحديثة، مما جعله يحوز على إعجاب وثناء الجميع من العلماء والمتعلمين ويحوز على الكثير من الألقاب....، أشهرها بديع الزمان.

٣- أهمية دور الأسرة في رعاية النشئ، وخاصة حرصهم على تحفيظهم لكتاب الله لكونه يحتوي على مخزون علمي ومعرفي لا حصر له، مما يكون له أكبر الأثر في توسيع مدارك الإنسان منذ الصغر، كما حدث مع النورسي.

هذا بالإضافة إلى الدور المعرفي والتأثير البارز الذي غرسته أمه في نفسه في مرحلة الطفولة، وهو ما اعترف النورسي عنه، بأن بداية تحصيله العلمي والتي كانت كالنقش على الحجر، وكانت الشرارة المعنوية الأولى التي أشعلت نور المعرفة، وأظهرت الحقائق العظيمة، فإنها كانت على يد والدته.

٤- إن الظروف التي كانت تمر بها تركيا من قلاقل واضطرابات سياسية، وما نتج عن ذلك من تفشي الجهل والخرافات (حتى بين من يسمون بالمتعلمين) وخاصة في أطراف البلاد وقراها، لم يمنع سعيد النورسي من التواصل مع الثقافات الأخرى، فهو لم يقف مكتوف الأيدي وقانعاً بما يدفع إليه من ثقافة يستقيها، ولكنه حطم قيود العزلة وبحث عن كل ثقافة تروي ظمأه، تسكيناً للعقل المتعطش للعلم والمعرفة، وتهدئة للنفس التواقة للاستكشاف والاستطلاع.

٥- ترك النورسي مخزون ثقافي وعلمي سطره تحت مسمى " رسائل النور" وهي

مستمدة من منهل القرآن الكريم، الذي كان رفيقة في حله وترحاله، لكي تنير الطريق وترشد الحائرين، كما أنه عالج في كليات رسائل النور قضايا كثيرة تهم المسلمين والمجتمعات الإسلامية.

كما أن تفكيره الذي سجله في رسائله ينطلق من ثوابت ومعايير قرآنيه، وبأساليب تجديدية تواكب العصر وتشد الإنسان إلى المعرفة الصحيحة، وإلى حسن التعامل مع قضايا عصره.

ومن خلال كليات رسائل النور استطاع النورسي أن يوقف نزيف المد الإلحادي الغاشم وأن يقطع الطريق أمام الساسة المعادين للإسلام ويلزمهم الحجة، وقضى على الدعايات المغرضة الظالمة التي يشيعها أهل الضلالة، وألجأهم إلى التقهقر والاستسلام، وأظهر نور التوحيد.

كما أنه استطاع من خلال رسائل النور تغيير الكثير من المخططات العدائية للإسلام وإجهاض القرارات التي أرادت طمس العقيدة وثوابتها، ومنها: ترجمة القرآن والآذان باللغة التركية بدلاً من العربية... وغيرها من المخططات العدائية، وهذا يبرز دور رسائل النور وفاعليتها في مواجهة الظلم والاستبداد، وتغيير المفاهيم المغلوطة.

٦- استطاع النورسي رغم الأحداث الذي تعرض لها أن يجسد من رسائله مدرسة تضم الكثير من طلاب النور (من جميع الطبقات والفئات) ليشكل جسداً واحداً على شكل هرمي، يتلازم (النورسي، ورسائله، وطلابه) كل منهما بالآخر، وهو ما أطلق عليه النورسي الإنسان الكامل، مما جعل دور حركة النور التي ظهرت على يد النورسي، أن يكون لها الدور البارز، وجعلها من أهم الحركات الإصلاحية الإسلامية في تركيا، وأغزرها فكراً، وأعمقها تأثيراً.

وذلك لأن النورسي استطاع أن يغرس فيهم أفكاره وآراءه النابعة من منهج القرآن ويقدمهم للمجتمع والإنسانية كبضاعة ألماسية، وكنموذج صالح اكتمل بنيانه، لينوبوا عنه في أداء الرسالة ونشرها، ويتحملوا المسئولية في غرس العقيدة وتصحيح الأفكار الضالة، وهذه من أهم الأشياء التي ينبغي لكل مصلح ومجدد أن يرعاها ويتولاها بالاهتمام، حتى لا تندثر أفكاره بعد وفاته ولا تجد من يتولاها بالرعاية.

٧- عاصر النورسي مرحلتين متغايرين ومتباينتين كل التباين في المبادئ والأهداف

سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وتتمثل المرحلة الأولى: الخلافة العثمانية وسقوطها.

وتتمثل المرحلة الثانية: الجمهورية التركية العلمانية ومخططاتها.

وشاهد بأم عينه ضرب المشروطية الأولى بإلغائها، وضرب المشروطية الثانية بتشويهها من قبل أصحاب الإتحاد والترقي بإظهارهم أنها مخالفة للشريعة، وأن الشريعة تعين الاستبداد، مما دفع النورسي لهجومهم ودحض مخططاتهم الخبيثة وتشويههم صورة الإسلام.

وهذه الأحداث وغيرها... كان لها تأثيرها الكبير على حياته، وكانت المحرك له للنهوض في الناس بدعوته الإصلاحية التجديدية، وكسر قيود الاستبداد وانتعاش الحرية، وترسيخ أسس العقيدة وأركان المعرفة.

٨- يعتبر النورسي واحد من أعلام الترك المصلحين والمجددين في الفكر الإسلامي والذين قاوموا الكفر والإلحاد والإحتلال، وكشف عن مؤامراتهم الاستعمارية وحارب أطماعهم.

ويظهر ذلك جليا من خلال تفاعل مفكرنا مع التغييرات التي قام بها نظام الدولة ومن معه من الساسة المعادين للإسلام بعد سقوط الخلافة الإسلامية بإكراه النساء على عدم لبس الحجاب، وإجبارهن على التبرج، مع نشر جو من الإرهاب والاستبداد الفكري الصارم، والتهديد بالسجن والتعذيب للعلماء ورصد تحركاتهم، ومراقبة من يتحدث عن الخلافة، وفرض لبس القبعة إجباراً وعدم لبس الطربوش، ومحاولة ترجمة القرآن وإلغاء الآذان باللغة العربية، وإلغاء الشريعة واستبدالها بالقانون السويسري، وغلق أكبر مسجدين في تركيا، وعدم السماح بحرية العقيدة للمسلمين، وإشاعة التعاملات الربوية، وبيع الخمور، وانتشار الفسق والفجور باسم الحرية... هذه وغيرها من التغييرات والقرارات التي أراد النظام من خلالها تقليد كل ما هو غربي، ومسخ وتغيير كل ما هو إسلامي.

ومع كل ذلك لم يستطع النورسي أن يكون سلبياً أمام هذه التغييرات الإجبارية الاستبدادية ويقف مكتوف الأيدي أو معقود اللسان، بل واجه التغييرات التغريبية الإلحادية (فكرياً وثقافياً وعقدياً وسياسياً واجتماعياً....، بل حتى في الملبس واللغة) التي أحدثها النظام وأراد فرضها على المجتمع التركي.

كما سعى النورسي على الحفاظ على الثوابت الإسلامية.

كما أنه أنبرى يدافع عن الحرية، وعن حضارته وقيمه وتراثه، ومستخدماً في ذلك كل الأساليب والأدوات.

٩- تنوعت وتعددت وسائل وأساليب النورسي في نشر أفكاره وآرائه لكسر حواجز الاستبداد، وكشف عور الساسة، وترسيخ الحرية الشرعية ونشر المعرفة، بالتوجيه والإرشاد لدى الخاصة والعامة على السواء، وإلقاء الخطب والمحاضرات والمحاورات والمناظرات، وسعيه من أجل إنشاء المدارس والجامعات، ومساهمته في نشاط الجمعيات والمحافل العلمية الخادمة للإسلام، وعقد المؤتمرات والندوات وكتابته للمقالات.

فقد سلك في كل ذلك أسلوباً مؤثراً، خاطب به العقل والقلب والوجدان، مقتفياً بذلك أسلوب القرآن الكريم، مع التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ويتجلى الهدف الأكبر من وراء أساليبه ورسائله ومسلكه هو تحرير المجتمع من قبضة الأفكار الضارة والسامة الهدامة، والتي يريد النظام والساسة المعادين للإسلام وللمبادئ والأخلاق، أن يُسقطوا فيها الإنسان الحر المكرم.

وسعى النورسي لتحقيق ذلك، بإظهار الحقائق الإيمانية عن طريق الإيضاح وإزالة اللبس لدى طلابه، وتفنيد شبه الملحدين وشبه غير المسلمين، وكشف الحقيقة لدى المسئولين إعذاراً لهم، وإظهار حقيقة دعوته في دفاعاته أمام المحاكم، وتصحيح الأفكار والمفاهيم التي يبثها الخبثاء بين أفراد المجتمع.

١٠- ابتعد النورسي عن سياسة المواجهة (العنيفة) التي اتبعها الأفغاني، وبعض الحركات الأخرى كالسنوسية والمهدوية والوهابية، ولكنه اتبع سياسة الالتفاف الحكيمة حول التدني والحطة الروحية والمفاسد الخلقية والهوان الحضاري والإستيلاب المقيت واللافاعلية البنائية، وتحلى لكل طور منها بألوان من البيان المعرفي والمسلكي، ووقع اختياره للقرآن كسلاح أساسي واستراتيجي في الدفاع وصد الهجمات الموجهة صد القرآن والمسلمين.

كما أنه جعل منذ المنطلق خط فاصلاً بين منهاجه القرآني ومنهاج السياسيين الذين تدور سياستهم في فلك الغرب، ويجعلون الدين في المرتبة الثانية أو الثالثة (إن وجد) وهذا ما دفعه للتصريح بالاستعاذة بالله من الشيطان والسياسة، وهذه الاستعاذة لا تصل إلى صحة القول بأنه ابتعد عن السياسة نهائياً، أو أنه ليس بسياسي حتى وإن كان القائل بذلك النورسي نفسه، فحياة النورسي التي وهبها لأمته (بما فيها عزوفه عن الزواج) ومؤلفاته، تؤكد بتواجد النورسي الحقيقي والفعلي والواقعي، ووجود موقف سياسي أصيل له تجاه الأوضاع السائدة في تركيا، وإلا ما قامت السلطة بحبسه ونفيه وعزله أحياناً، ومحاكمته واضطهاده أحياناً أخرى.

ومما يؤكد ذلك: هو عدم قناعة السلطة والساسة بموقفه وتصريحه أنه بعيد عن السياسة وأنه ليس سياسياً، حيث عرفوا من خلال ضرباته الموجعة لهم، والموجهة من جميع القواعد والأماكن التي يرى فيها النورسي أن بها خللاً ما، أنه يستعمل معهم سياسة الالتفاف الحكيمة، أو ما نستطيع أن نطلق عليه " الدفاع الاستراتيجي " ويستخدم معهم مبدأ " الحرب خدعه ".

١١- يلفت البحث النظر إلى آراء النورسي الإصلاحية، والتي يتضح فيها أنه كان واقعياً وعملياً، ومفكراً لماحاً وذواقاً، حين جعل من أولى اهتماماته ومرتكزاته إصلاح الفرد والجماعة، وهو ما يؤكد التوافق في الفكر والرؤى بين الإمام محمد عبده والنورسي وابتعاد هذا التوافق مع جمال الدين الأفغاني.

وتتضح رؤية النورسي الرافضة للإصلاح الفوقي الذي يبدأ من السلطة، لما سيتولد عنه مشاكل لا حصر لها، وخاصة إذا كانت الآراء الإصلاحية لا تتوافق مع أهداف ورؤى وأطماع الساسة وتتعارض معهم، وإن كان هذا لا يتنافى مع إسداء النورسي بالنصيحة للحكومة من أجل الإصلاح كما حدث حين ذهب إلى السلطان عبد الحميد لإنشاء جامعة الزهراء لنشر العلم وإزالة الجهل، وكما حدث حين ذهب إلى أنقرة وخطب في البرلمان ناصحاً أعضائه بالمواظبة على الصلاة.

ويسير النورسي في منهجه الإصلاحي على المنهج الإسلامي المعتدل الصحيح القائم

على الإقناع والموعظة بالتي هي أحسن.

ويرفض النورسي منهج الحركات الإصلاحية الثورية (التخريبية) لأن ذلك يضر بالأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم، ويؤيد الحركة الإصلاحية المعنوية التي تقوم على إرشاد أفراد المجتمع وتنويرهم.

ونلفت في هذا البحث بلمحة إلى المرتكزات والأسس التي ينطلق النورسي منها في حركته الإصلاحية، والتي يبدأها بإصلاح القلب، لقناعته أن التخريب قد بدأ في القلب، ثم يشرع إلى عمومية الإصلاح لجميع الفئات والطبقات من شيوخ ورجال ونساء وأطفال، وحتى المسجونين.

وعلى الرغم من اهتمام النورسي بإصلاح الفرد، فإن هذا لا يعني اهتمامه بالفرد فقط وكأنه جزيرة منعزلة، ولكنه يهتم بالفرد في داخل سياقه الجماعي.

ولعل الأهم، هو وضعه أسس لوحدة الجماعة الإسلامية والإنسانية في العالم، وهذه الأسس هي أحوج ما نحتاج إليه الآن لإرساء المحبة والأخوة والألفة، وإنهاء حالة التشرذم والصراعات.

١٢- يلفت البحث النظر إلى موقف النورسي من الفلسفة، والتفكير الفلسفي والفلاسفة، والموازنة بين ثمرات القرآن وثمرات الفلسفة، ومن خلال ذلك نستنتج: أن النورسي يهاجم الفلسفة والفلاسفة الماديين الإلحاديين بنعوت قاسية، ويسفهه آرائهم ومناهجهم القائمة على مسطرة اللادين.

ولكنه يؤيد ويحث على التفكير الفلسفي بعقل إيماني قرآني.

ومن خلال استعراضنا لموقف النورسي من الفلسفة نستنتج عدة أمور، أجد من المهم (من وجه نظري) عرضها، وهي كما يلي:-

- أن النورسي سعى من خلال موقفه الرافض للتيارات الفلسفية المعادية للدين إلى صد التأثيرات السلبية لهذه التيارات لخطرها على العقيدة وعلى واقع المجتمع، هذا من ناحية.

ثم سعيه لإزالة التأثير السلبي الذي علق بعقول بعض المثقفين، فنتج عنها أفكاراً ضارة، وأرادوا رواجها.

– أن الفلسفة هي نمط للتفكير، ويتشكل محتواها من الأفكار التي يصنعها الفيلسوف بعقله وبتأثير اعتقاداته، والفلسفة بذاتها ليست محرفة، بل العكس إن الذي يفهم الفلسفة جيداً ويعرف أفكار الفلاسفة بشكل جيد يستطيع مجابهة الأفكار المنحرفة بالاستناد على ذلك.

كما أن الفلسفة طورت الفكر أكثر من تشتيتها للعقل البشرى، وفتحت الطريق إلى الأفكار والآراء والنظريات والاكتشافات الجديدة، ولو لم تحدث أفكار مختلفة لما استطاع النورسي نفسه أن يطرح الأفكار الجديدة.

والنورسي نفسه أعلن قبوله دستور " تعرف الأشياء بأضدادها " لذا نرى أن الآراء المختلفة والمعارضة وحتى الآراء المنحرفة هي التي تعرفنا بقيمة آرائنا الصائبة.

– يبدو لي أنه ليس من الصواب مماثلة موقف النورسي بموقف الغزالي للفلسفة والفلاسفة (وإن كنا لا ننكر التشابه إلى حد ما) حيث أن نقد النورسي وموقفه يعني الفحص والفحص معناه تبيان الحقيقة، كما أنه احتاط في رأيه وحكمه حول الفارابي وابن سينا ولم يحكم بما حكم به الغزالي، بل وضعهما في إطار أنهما مؤمنين... ولكن عاديين.

– يبدو لي أن طرح النورسي " لسلسلة النبوة " تجاه " سلسلة الفلسفة " وموازنته بين " ثمرات القرآن " و " ثمرات الفلسفة " كان من الأفضل عدم القيام به، لان المقايسة تتطلب المماثلة، وهذا غير متوفر وغير موجود، ولو لم يقم بهذا الطرح لكان أفضل، وذلك لأن سلسلة النبوة والقرآن مصدرهما إلهي مباشر، ويضمون أوامر ونواهي الوحي، وماهيتهم مختلفة، وليس للعبد أو العقل البشري أثر فيها ولكن كل ما يتعلق بالفلسفة هي أثر العقل البشري على الأغلب، وعندما يتفلسف الإنسان يستطيع أن يقوم بتوفيقها مع الأسس التي جاء بها الوحي، أو بالاستفادة منها.

أما إذا كان هذا الطرح من أجل إظهار وتقديم البديل (أي عن الفلسفة المادية الإلحادية والتي تؤله الطبيعة) من أجل البحث والتنقيب في القرآن وبيان أفضليته لكونه

يحتوى على مخزون معرفي، والبحث في الكون بمنظار قرآني، وذلك لبناء وتشييد صرح معرفة إسلامية، فأن هذا الطرح يعتلي قمة الصواب.

- يبدوا لي أنه ليس من الصحيح أن النورسي ينكر الفلسفة، ومن أجل فهم النورسي الفهم الصحيح وإبعاد الظن بأنه ينكر الفلسفة، فإنه لا بد من فهم الدوافع، والنظر إلى الفلسفة التي يرفضها، والنظر إلى المرحلة التي عاش فيها، وخاصة مرحلة المشروطية الثانية، حيث بدأت تتغلغل مختلف التيارات المعادية للإسلام مما نتج عنه آثاراً سلبية على المجتمع التركي، وخاصة المثقفين منهم والساسة.

- أن نضع بعين الاعتبار عند التعليق على نظرة النورسي للفلسفة الأهمية التي أعطاها للعقل كمصدر من أهم مصادر المعرفة، ويتجلى ذلك في حثه على استخدام العقل في كلتا المرحلتين من حياته (سعيد القديم – سعيد الجديد) وطالب المسلمين خاصة بذلك لأن العقل هو أهم ما يميز الإنسان عن سائر الكائنات، كما أن القرآن حث على النظر والتفكر واستخدام العقل، وهو الذي جعل الإسلام يتميز عن غيره من الأديان

- إن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية، هي الفلسفة المضرة وحدها التي تردت في الضلال والإلحاد ومستنقع الطبيعة، وليس الفلسفة على إطلاقها، حيث أن قسم الحكمة من الفلسفة الإيجابية التي تخدم الحياة الاجتماعية للبشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد السبل للرقي الصناعي فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن.... لذا لا تتصدى رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة.

١٣- اختط النورسي لنفسه طريقاً في التعامل مع الحضارة الغربية ليصبح في مصاف المجددين والمصلحين أصحاب العقلية الهادفة المستنيرة، بعيداً عن المتشددين الذين يرفضون كل ما هو غربي وغير إسلامي، وبعيداً عن السذج الذين انبهروا ببريق الحضارة الغربية القشري، ورقصوا وهتفوا لتفاهاتها.

أما النورسي فإنه رأى أنه ليس من العدل والإنصاف رفض هذه الحضارة رفضاً مطلقاً ولا قبولها قبولاً مطلقاً لأن التطرف في كلتا الحالتين مضر، حيث أعلن قبوله التعامل مع الحضارة الغربية (ولكن بحذر) والأخذ منها ما هو نافع ويوافق مبادئ الإسلام ورفض ما

وجده ضبابياً وملوثاً لأنه يخالف تعاليم الإسلام وبيئة المسلمين، وكل ذلك يتم بميزان الشرع بعيداً عن الأهواء والرغبات.

وبهذا يتوافق النورسي مع كثير من المصلحين والمجددين، ومنهم " الإمام محمد عبده والمفكر محمد الغزالي ".

ولعل أهم ما يميز موقف النورسي من الحضارة الغربية ما يلي: -

- تصفية ذاته من أي أحكام مسبقة، حتى يكون نقده لهذه الحضارة نقداً موضوعياً ثم إلمامه بموضوع النقاش من جميع جوانبه وزواياه، حتى تتضح له الرؤيا بأكبر قدر ممكن، وهذا ما دعاه لدراسة أسباب نهضة أوروبا، وكيف وصلت إلى ما هي عليه، والأسس التي قامت عليها، ورصده لزوايا مختلفة منها لالتقاط مواقع الظلم والقبح والانحراف في أخلاقياتها الذميمة، ومظهراً البقع الرمادية والسوداء في جسدها.

- عدم حكمه على الحضارة الغربية بالجزافية والإطلاق، ولكنه قام بفرز ما هو صالح وقام بتجميد الضار، ويظهر ذلك جلياً من خلال محاورته للجانب الصالح في التعامل وهي أوروبا النصرانية، والتي اكتفى بالإشارة إليها في محاورة قصيرة دون تفصيل.

ثم محاورته المفصلة والتي لا تخلوا منها جميع الرسائل، وهي أوروبا التي ابتعدت عن الدين والأخلاق واستعبدت الناس بالأهواء والملذات والمنفعة، وتعفنت بظلمات الفلسفة الإلحادية، وكل هذا من أجل تعريف الأجيال بالوجه الحقيقي بهذه المدنية منصفاً إياها، ومفرقاً في الوقت نفسه بين مساوئها ومحاسنها.

- سجل النورسي في رسائله أسس المدنية الحديثة، وأولى كل واحد من هذه الأسس جانب التحقيق والتأصيل والتفصيل، وألقى بظلال وارف من التوضيح لبيان الهدف الأسمى والغاية المثلى والدستور الأعلى الذي تهدف المدنية الحديثة إلى تحقيقه وتسخر كافة إمكاناتها وإنجازاتها من أجل تمكين مرتكزاتها وفرضها على العالم أجمع.

ثم يعقب النورسي موقفه العلمي الرصين للمدنية الحديثة بتقديم أسس المدنية البديل والأكمل والأشمل روحاً ومنهجاً ومضموناً ومآلاً، وهي المدنية الإسلامية.

وهذا يعبر عن عميق فهمه لكل من أسس المدنية الحديثة...وأسس المدنية الإسلامية وما يترتب عليهما من مسائل وقضايا تحتاج من الباحثين والمفكرين والمعنيين البحث والتنقيب فيها.

- إن أبرز ما يشد الانتباه في موقف النورسي من الحضارة الغربية هو الربط الوثيق بين الحضارة والدين، وجعل الدين قاعدة مهمة من قواعد فكره ومرتكزاً أساسياً من مرتكزاته.

١٤- تتلاقى رؤية النورسي لعلم الكلام وتجديد العقيدة في النفوس، وربطه بقضية الإصلاح مع زعماء الإصلاح المحدثين في العالم الإسلامي.

ونظراً لأهمية علم الكلام أو العقيدة وحاجة المجتمع التركي للعقيدة الصحيحة فقد حمل النورسي على عاتقه بتحقيق هذا المطلب، بالكشف عن حقائق الإيمان وإحيائه في القلوب، والتصدي للشبهات، مع ربط العقيدة بالقيم الأخلاقية والأنماط السلوكية، من أجل تفعيل دورها في المجتمع، ولكي تؤدي وظيفتها في جميع مناحي الحياة ومواجهة المد الإلحادي.

وقناعة من النورسي بأهمية علم الكلام، رأى أن قناعته هذه لن تأتي ثمارها إلا من خلال تجديد هذا العلم وصياغته بما يتوائم وتحديات الواقع وحاجت العصر وتفعيل وظيفته بشقيها: إحياء الإيمان في القلوب... ورد الشبهات.

ومن أجل تحقيق ذلك نرى أن النورسي قام بأهم أمرين:-

- تنقية علم الكلام من التعقيدات اللغوية والتي يصعب على العامة فهمها، ثم تنقيته من المصطلحات التي اقتبسها علماء الكلام قديماً من الفلسفات اليونانية، وذلك من أجل تحويل مسار علم الكلام من علم مغلق... إلى علم مفتوح، ومن علم معقد... إلى البساطة والشمول.

- تفصيل الأهداف القرآنية حسب إدراك العصر وفهمه، وعلى ضوء العلوم بضرب الأمثلة ويشرح الحقائق الإيمانية ومعرفة الخالق، ثم قيامه بإثبات أن الحقائق القرآنية تتطابق مع الحقائق الكونية وأن حروف كتاب الكون وآياته تشكل منابع الحقائق القرآنية.

ولعل اعتماد النورسي الكامل على القرآن جعل كثير من الباحثين والدارسين والمختصين أن يطلقوا على محاولته التجديدية " بعلم كلام جديد " أو " علم كلام قرآني ".

١٥- قام النورسي بعملية مراجعة كبرى لرصيد الأمة من العقيدة وفق نظراً شمولية وتخطيط هادئ، فلاحظ أن التصوف الذي كان قائماً على تربية الروح وتطهير النفس الإنسانية، وتجسيد القيم الإسلامية الرفيعة، أصبح في العصور المتأخرة أسرع الميادين في الثقافة الإسلامية تعرضاً للانحلال، وعاملاً من عوامل التخلف وأصبح بعض دعاة التصوف معاول للانحراف والهدم، واصطباغ الدين بصبغة الجهل والتخريف، وتفضيلهم التقليد على الاجتهاد والابتكار، والاتجاه نحو الشعوذة والتدجيل، فكانت النتيجة أن يرتمي الجيل الجديد من الشباب المسلم في أحضان الثقافة المادية العلمانية، بل إن بعض الطرق الصوفية تحولت في أغلب الأحوال إلى مراكز لابتزاز أموال الأتباع والمريدين واستعبادهم وإلى أبواق لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية، وأضحى بعض المتصوفة يتجاوزون المنهج والمفاهيم، فأصبحوا ينزلون مفاهيم الفن الصوفي منزلة مفاهيم الوحي، التي سرعان ما تتحول فيما بعد إلى مفاهيم متأخرة على المفاهيم الصوفية، وهكذا فإنهم:-

- أنزلوا المجاز منزلة الحقيقة وقدموا المجاز عليها.
- وأنزلوا الولاية منزلة النبوة وقدموا الولاية عليها.
- وأنزلوا الباطن منزلة الظاهر وقدموا الباطن عليه.
- وأنزلوا الأوراد الصوفية منزلة الأذكار السنية وقدموا الأوراد عليها.
- وأنزلوا الإلهام منزلة الوحي وقدموا الإلهام عليه.
- وأنزلوا الكرامات منزلة المعجزة وقدموا الكرامة عليها.

لمثل هذه المواقف وغيرها، انبرى النورسي ليبرهن على عكسها، وهذا ما جعله يؤكد مراراً أنه ليس برجل تصوف، وأن رسائله تختلف عن كتب الصوفية والأولياء السابقين، ولكنها هي شرح لحقائق القرآن.

كما أنه بذل كل مساعيه من أجل اكتمال حرية الإنسان المسلم، عدم استعباد الفرد للفرد... بأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وذلك من خلال رفضه ونقده لفكرة فناء المريد في الشيخ، وهذا ما جعله يستبعد أن تكون العلاقة بينه وبين أتباعه وطلابه من باب العلاقة بين الشيخ والمريد، لأن الشيخ لا يملك الحق ولا اليقين، وإنما الحق واليقين في البرهان.

وهكذا قتل النورسي الصنميات التي أحاطها الإنسان بالإنسان ليجعلها في البرهان كما أنه أزال فكرة تقديس الأفراد، من أجل ألا يسلب أحدنا حرية الآخر ويجعله أسيراً له، ومن أجل تفعيل دور العقل للوصول إلى معرفة الله، بعيداً عن الشطحات والخيالات التي قد يمسك بزمامها الشيطان فيردي صاحبها في هاوية الكفر.

ولهذا فإننا نستطيع القول أن أبرز دوافع النورسي لمعالجته للتصوف أمرين:-

- تحرير الإنسان من رق الإنسان.

- دافع معرفي.

ومن أجل تأسيس مذهب في السلوك، بنى النورسي منهجاً معرفياً جديداً يقوم على القرآن والسنة، كي يتحرك الإنسان بخطاهم، وهو منهج يتحد فيه العقل والقلب معاً.

وهذا المنهج هو أسلم وأعم، وهو مستفاض من فيض القرآن ويمثل طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً من أجل الوصول لمعرفة الله، وهو:

طريق العجز... الفقر... الشفقة... التفكر

١٦- يتلاقى النورسي مع رفاعة الطهطاوي والأفغاني وخير الدين التونسي وغيرهم من الزعماء الإصلاحيين الأحرار الذين يدعون للحرية، ويؤكدون أن الحرية هي إحدى القيم الإنسانية الكبرى، ودعامة هامة من دعائم الشخصية، وهي نقطة الانطلاق للتنظيم الاجتماعي المرغوب فيه، لدواعي الفاعلية والبناء والتقدم والازدهار.

كما أن النورسي تلاقى في كثير من جوانبه لمفهوم الحرية مع المفكرين والزعماء الإصلاحيين، ومن أهم جوانب هذا الالتقاء والتلامس: هو مفهومهم للحرية بأنها الحياة العزيزة الموافقة للشريعة، أي المبنية على أساس ومرتكزات ومبادئ الدين الإسلامي.

ولعل هذا هو جوهر التلامس.

إلا أنهم تباينوا في تصوراتهم لرسم وتطبيق مفهوم الحرية تبايناً قريباً وليس بعيداً.

١٧ - يبدوا لي أن مفهوم الحرية كان أكثر وضوحاً وظهوراً، واكتملت معالمه وتجلت صورته وأركانه عند النورسي أكثر من غيره من المصلحين.

إذ أننا لا نجد مفهوم الحرية عند الطهطاوي إلا تقريره ومماثلته بأن ما وجد من حرية في فرنسا ليس إلا العدل والإنصاف عندنا.

أما مفهوم الحرية عند خير الدين التونسي: فإنه اقتصر على عرضه لمفهوم الحرية السياسي

أما مفهوم الحرية عند الأفغاني: فإنها لا تستقر على حال، فتارة يعبر عنها بالحرية الشخصية، وتارة السياسية، وأوضح الصور عنده هو ربطه للحرية بالقومية والاستقلال.

أما النورسي: فإنه وضع مفهوم الحرية في إطار متكامل ومفصل وقائم على أسس ومرتكزات أهمها: الحرية المتأدبة بالقيم والأخلاق، وليست الحرية المنفلتة الفوضوية التي لا تقيم حساباً لغير الذات والأهواء الفردية، والتي ترتقي بقيم الانحراف والشذوذ.

ومن أهم مرتكزاتها كذلك أنها حرية نابعة من مبادئ الإسلام، وليس قياساً أو اقتباساً من غرب أو شرق.

ضف إلى ما سبق حرص النورسي على وضع الحرية في إطار الشريعة، وبإضافة الحرية للشريعة، يجعل للحرية مرجعية إلهية موحى بها، وهذه المرجعية كفيلة بأن تحمي الحرية فلا تستطيع يد العابثين وأصحاب الأهواء والرغبات العبث بها.

كما أن الشريعة الإلهية هي التي تضمن الحرية الحقة لجميع الناس بلا إفراط ولا تفريط لأنها من لدن حكيم خبير {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك.

١٨ - مواجهة النورسي للنظام والساسة أصحاب الأفكار الفاسدة الذين تلبسوا بغطاء الحرية وتشويههم لصورة الحرية الشرعية، وإدعائهم بأن الشريعة مصدر الاستبداد والظلم وتصحيحه للمفاهيم المغلوطة عن الحرية، ورفضه لمفهوم الحرية للتصور الغربي عند دعاه

المدنية الغربية والتي تعني التحرر وإطلاق الزمام للنوازع.

هذا بالإضافة إلى قدرة النورسي العجيبة على صياغة الحرية الشرعية ووضعها بمفهوم الحسناء.

١٩- سعي النورسي لنشر مفهوم الحرية الشرعية بين أفراد المجتمع التركي من خلال الخطب والمحاورات والمقالات وإرسال الرسائل لعدم ضياعها (أي الحرية) وقتلها ووضعها موارد الامتهان، ولقطع الطريق على من يشوهون صورة الحرية الشرعية ويسيئون للإسلام بأنه منبع الاستبداد والتعصب.

ولتحقيق هدفه ومسعاه قام بالتأطير والتأصيل لطبيعة الحرية الشرعية وتفصيل أسسها وأركانها حتى يسهل على ممارسها كيفية الالتزام بمبادئها والتعامل والتعايش معها وتمثيلها.

هذا بالإضافة إلى تصحيحه ومعالجته للمفاهيم المعكوسة عن الحرية والتي شاعها النظام والساسة بين الأفراد، وأهمها وأبرزها:-

- أن الإنسان مهما فعل في كنف الحرية من سفاهات ورذائل وفضائح لا يؤاخذ عليها ما دام لم يضر بها الناس.

- ما تلبس في مفهوم الأفراد (وخاصة العامة منهم) أن الحرية الشرعية تعني القصاص وقطع اليد.

٢٠- يتلاقى النورسي في الرؤى والأفكار والمساعي مع الطهطاوي والأفغاني وغيرهم من الزعماء الإصلاحيين المسلمين من أجل ترسيخ وتفعيل حرية العقيدة، وإبرازهم أن حرية العقيدة شيء متأصل وراسخ في الإسلام، وأنه أرسى مبدأ لا إكراه في الدين.

ورغم هذا التلاقي فإننا نجد تبايناً جزئياً في بعض التصورات والتطبيقات للحرية الدينية:

فبينما يسعى الأفغاني لتحقيق الحرية الدينية السلطوية (الخلافة) من خلال تطبيق أحكام الشرع كواقع عملي بإقامة الحدود، وأن تنفيذها شرط أساسي لمن يريد أن ينال السلطة.

فإن النورسي يسعى لتحقيق الحرية الدينية من خلال إفساح المجال لتطبيقها في المجتمع من خلال الأفراد وليس السلطة، وذلك لمواجهة المد الإلحادي الذي تقوم بغرسه وإقامة أركانه سلطة الدولة.

فالنورسي أقصى ما يتمناه ويريد تحقيقه هو ضمان حرية العقيدة وتهيئة المناخ لمزاولتها وهذا ما دعاه للقول: " أنه لا يمكن لأي شعب (وليس سلطة) أن يعيش بلا دين "

ولعل دعوة النورسي لحرية العقيدة لم تكن قاصرة على المسلمين فقط، بل إنه يدعوا بالحرية الكاملة لكل الناس بأن يمارسوا حريتهم الدينية ويزاولوا شعائرهم، وهذا ما أكد عليه النورسي بقوله: " إن حرية غير المسلمين هي شعبة من حريتنا ".

٢١- سار النورسي وزعماء الحركات الإصلاحية على نفس مسلك وخطى المنهج الإسلامي الذي يقرر بإزالة العوائق التي تعوق حرية الإنسان الشخصية.

ولكن يبدوا واضحاً لي أن مفهوم الحرية الشخصية مكتمل العناصر والأركان عند النورسي من غيره، ويضح ذلك من خلال إضافته للنص بقوله " حركاته المشروعة " وقوله " ولا يتآمر عليه غير قانون العدالة والتأدب ".

كما أنه يبرز في مفهومه أهم ما تستوجبه الحرية الشخصية.

كما أنه يلفت أنظارنا من خلال النصوص التي أوردناها - عن الحرية الشخصية - أن تقييد الحرية الشخصية يقضي على كثير من أنواع الحريات، وأهمها:-

- الحرية العلمية: وذلك يفرز الجهل والتخلف ويعوق التقدم والرقي في جميع المجالات.

- الحرية الوجدانية: وبتقييدها ينتج الكبت والإرهاب وعدم الولاء.

- الحرية الدينية: وبتقييدها ينتج التعصب البغيض الذي يتنافى أساساً مع سماحة الأديان السماوية، وهو ما يعبر عنه النورسي بقوله " إن أخصب مرتع للفكر الفوضوي الإرهابي هو الأماكن المزدحمة بالمظلومين " وهذا ما جعله يفضل الموت والقبر على تقيد حريته الشخصية.

ولعل هذا ما نراه ونسمعه في وسائل الإعلام ممن يفضلون ويقومون بتفجير أنفسهم على البقاء أحياء وهم مضطهدون وقد سلبت حريتهم الشخصية.

٢٢- يؤكد النورسي على حرية الرأي لأنه شئ راسخ وقاعدة أساسية في الإسلام، حيث منح الإسلام كل فرد الحق في إبداء رأيه عن أي طريق شاء، من أجل الوصول إلى الرأي السديد النافع، ولكي يكون لبنة في بناء المقصد والتوجه، وتفعيل دور العقل وتعزيز قيمته لكي يولد فيه فكراً حراً.

وتتجلى حرية الرأي عند النورسي ظاهرة وجلية من خلال إبداء رأيه على السلطان " عبد الحميد " لإنشاء مدرسة الزهراء، والمحاورات والمناقشات والمقالات وإلقاءه الخطب في الميادين والجوامع، وأبرزها خطبته الشامية التي ألقاها في دمشق، وكشف فيها عن الأمراض التي أصابت الأمة وطرق علاجها.

ولكن مع هذا كله فإن السلطة الحاكمة حاولت بكل ما أوتيت من قوة سلب حق النورسي في التمتع بحريته وإبداء رأيه، من خلال الحبس والنفي والعزلة، وعندما لم تتحقق رغبتها دست له السم مراراً وتكراراً، ولكن الله أنقذه لكي ينقذ معه كلمة الحق التي ينطق بها لسانه ويسجلها قلمه.

٢٣- تعتبر الحرية الفكرية من أهم وأبرز صور الحرية وأشكالها التي جاهد النورسي لترسيخها في المجتمع التركي بعد حرية العقيدة، بدءاً من سعيه لإنشاء جامعة الزهراء لمحوا الجهل المتفشي، ثم موقفه من بعض دعاة التصوف الذين أصبحوا أبواق لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية، واصطباغ الدين بصبغة الجهل والتخريف، وتفضيلهم التقليد على الاجتهاد والابتكار، وإنتهاءاً بمواجهته لدعاة الفكر التغريبي التخريبي، والذي أراد النظام فرضه على العقول دون اختيار.

ويستند النورسي في كل ذلك إلى أن الحرية الفكرية في الإسلام هي من أهم الحقوق بل هي فريضة واجبة، وأن الإسلام كما أنه جاء ليحرر الإنسان من ظلم الرق والاستعباد، فإنه عمد أولاً لتحرير الفكر من سجن الأوهام والخرافات والأساطير ولكي يعتق العقل من قيده، بل إنه يبرز إلى أن أهم ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان، هو تأكيده على قيمة

الحرية الفكرية، وحثه على التدبر والملاحظة واستشهاده بالعقل.

٢٤- سعى النورسي لإزالة ما يعوق الحرية السياسية، وذلك بإقراره للمشروطية في ضوء الشريعة، وسعيه لترسيخ مفهوم الشورى الإسلامية كبديل للمشروطية الغربية.

ويستشهد النورسي بالحرية السياسية المتأصلة في الإسلام والتي صار على هديها الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم أجمعين).

ورغم توافق النورسي والأفغاني أن الدولة لا بد وأن تكون قائمة على دين ودنيا فإن النورسي يرفض استخدام الدين كأداة للسياسة لتحقيق الأغراض السياسية ولكنه يجعل من السياسة آلة للدين.

ونحن أحوج ما نكون لدراسة هذه النظرة ونشرها على مسامع الأحزاب والحركات والجمعيات السياسية التي ترفع شعار الدين لتهيج مشاعر الأفراد ضد سياسة السلطان حين لا تلبي مطالبهم أو تتعارض أهدافهم مع أهداف السلطة القائمة.

ومن ناحية أخرى نرجوا أن يصل كلام النورسي إلى مسامع أرباب السلطة الذين يستخدمون الدين كأداة لتحقيق مآربهم من خلال الفتاوى المطبوخة ببهارات تأويل الأدلة الشرعية.

٢٥- يصنف النورسي في مقدمة المفكرين الذين أسسوا مشروعاً متكاملاً لحرية الحوار بمفاهيمه ومعانيه، سواء كان:-

- حوار الإنسان مع نفسه.
- حوار الإنسان مع الإنسان.
- حوار الحضارات.

والمتصفح لرسائل النور يجد أن النورسي يقدم بديلاً موضوعياً لفكرة صدام الحضارات أو استبداد الحوار، من خلال عرضه مبدأ " التكامل " بدل " الصراع " و " التعايش " بدل " الإقصاء "... ويتخذ النورسي من نصوص القرآن منصة الانطلاق لحرية الحوار المؤسس على السلم والتعاون والتفاهم والتعايش، بعيداً عن النظرة العدائية،

واستبداد ناصية الحوار، والدعوى بامتلاك الحق.

وهذا المشروع النورسي الذي يدعوا إلى حرية الحوار، يحتاج إلى نشره والعمل به ويحتاج من الذين فهموا مضامين الرسالة الإنسانية الإسلامية وأدركوا أبعاد المتغيرات العالمية الجديدة، أن يكونوا سفراء كالنورسي عن دينهم الوسطي المعتدل، وإيجاد الخطاب الحر المقنع لتقديم الإسلام على حقيقته، لا على الصور التي تأتي بها أحداث العنف الإرهاب وتلتقطها وسائل الإعلام لإشعال نيران الكراهية، والتهويل بالخطر الإسلامي على الحضارة وعلى الإنسانية... والإسلام بريء من ذلك، لأنه يؤمن بالإنسان كوحدة واحدة، وأنه كائن حواري، يحيا بالحوار وداخل الحوار بعيداً عن الاستبداد والإكراه والإلزام وفرض الأمر الواقع.

٢٦- يعالج النورسي أخطر قضايا العصر، وهي انعكاس المفاهيم، وقناعة السذج، وأصحاب العقول القاصرة أنها الصواب، وتفسيرهم للحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود والانغماس في السفاهات والملذات غير المشروعة والبذخ والإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء إتباعاً لهوى النفس.

ويشبه النورسي الفرق بين الحرية والتحرر وعدم التلاقي بينهما بثياب المرأة إذا ما لبسه رجل.

ورغم رفض النورسي للتحرر السلبي الهدام، فإنه يدعوا إلى التحرر الإيجابي البناء ومن أهم صور وأشكال التحرر التي يدعو إليها النورسي:-

- التحرر من الجهل: لأنه من أعدى أعدائنا، ولأن الإسلام يعادي الجهل، ولأنه منافي للإنسان المكرم بالعقل، والمخلوق في أحسن تقويم.

ضف إلى ذلك أن الجهل يعوق معرفة الإنسان بربه وخالقه، ويعوق معرفة الإنسان بنفسه، ويعوق عقله من الحرية الفكرية، ويعوقه من الوصول إلى الحقيقة ويفتح أمامه باب الخرافات والشبهات.

- التحرر من التقليد: وذلك لأن القرآن عندما أرسى قواعد البحث وأصول التفكير، فإنه عمل على تحرير العقل أولاً من رواسب التقليد، وعاب على المقلدين بلا وعي أو

إدراك.

وذلك لأن التقليد يسوق الإنسان دون إستيعاب إلى الظن والهوى والاسترسال مع الباطل، ويجعل الإنسان أسير مكبل بأغلال من يقلده، كما أنه يمثل سداً منيعاً أمام جميع صور الحرية التي يريد الإنسان أن يتمتع بها.

بهذا كانت دعوة النورسي للتحرر من التقليد، وخاصة تقليد الغرب.

- التحرر من الأنانية والعجب والغرور: ودعوة النورسي للتحرر من هذه الأمراض لأنها إما أن تؤدي إلى السلبية والانعزالية، وإما أن تؤدي إلى الظلم والاستبداد وكل هذا ينشأ نتيجة البعد عن الله.

- التحرر من التعصب، يدعوا النورسي إلى التحرر من التعصب لأن الإسلام يمقت التعصب والتشدد، لأنه أسر للإنسان، وعائق لحرية الفكر والرأي والحوار، كما انه يقضي على كل جديد قبل أن يولد، ولأن التعصب ليس اللائق بالعقلاء.

ويبين النورسي أن التعصب مصدره الجهل، ولا يولد إلا العنصرية والأنانية والعنف والمغالاة والهوس والسفسطة.

ويبرز النورسي ميزة الإسلام الحق التي تميزه عن سائر الأديان، بأنه دين العقل والحكمة والعلم، وليس دين التعصب والاستبداد كما يدعي الغرب الآن، وهو إدعاء باطل.

- التحرر من العنف: تعتبر هذه الظاهرة من أخطر الظواهر التي تنامت في هذا العصر (عصر الصراعات) وتيرتها، وهي آفة سلبت حرية الأبرياء، وأزالت راحة البال منهم، وحرمتهم من حياة حرة كريمة.

ويؤكد النورسي أن منبع العنف هو التعصب العنصري والأنانية.

وفي هذا البحث نبرز رفض الإسلام للعنف، ودعوته لتأمين الحريات والمحافظة على الأنفس لأنها من مقاصد الشريعة، حتى لغير المسلمين.

وسار النورسي تبعاً لمنهج الشرع، بل ويؤكد أن هذه الخصيصة تمثل جوهر الخلاف بين

سياسة التحرر للمدنية الحاضرة، وبين الحرية الشرعية المنضبطة وعدالة الإسلام.

ويؤكد النورسي أن الدخول إلى دائرة العنف في القول أو العمل أمر لا يليق بالأحرار ونراه يدلل على ذلك كواقع عملي من خلال رفضه للمشاركة في ثورة الأقاليم التي يتزعمها الشيخ " سعيد بيران "، وإقناعه " حسين باشا " بعدم الانضمام لكي لا تراق الدماء وتهدر الحريات

٢٧- ينفرد النورسي (كما يبدو لي) بربطه الشديد بين الإيمان والحرية، وجعلها (أي الحرية) أثر وخاصية من خصائص الإيمان، وبالإيمان يصبح الإنسان الخليفة سلطاناً حراً لتعمير الكون، وتصبح نفسه وذاته حرة من أسر الهوى والشيطان.

فبمقدار قوة الإيمان تتلألأ الحرية، وكلما رسخ الإيمان قويت الحرية، وبهذا فهو يستخدم الايمان كمانح لحرية الانسان داخلياً وخارجياً، باطناً وظاهراً.

ويستشهد النورسي على أثر الإيمان في حرية الإنسان بما كان يرفل به (أهل الإيمان) عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ويؤكد هذا ما قاله سيدنا عمر ﷺ: " لقد كنا أذلاء، فأعزنا الله بالإسلام ".

ويبين النورسي أن الحرية خاصية الإيمان وأثر من آثارها، لأن الحرية تثمن بالتربية الإسلامية، أما الحرية غير المنضبطة بالشريعة فهي خطر على الحرية نفسها إذ ستلد نقيضها حال تفريطها في الانضباط بالأحكام الشرعية.

ولعل هذا الربط مرجعه أمرين:-

- مواجهة النورسي للمد الإلحادي والأفكار المتحررة من الدين، وإزالة فكرة تقديس

الفرد، وتحرير الإنسان من أسر الأهواء والرغبات الشيطانية.

- سعيه الدؤب لترسيخ الإيمان ونشر الأخلاق الإسلامية، وعدم خروج الحرية عن إطار الشريعة، وهذا ما دعاه أن يعبر عن الحرية التي لم تلد من رحم الإيمان بأنها: ليست إلا السفاهة والرذائل، بل تلك حيوانيه وبهيمية وتسلط شيطاني ووقوع في أسر النفس

الأمارة بالسوء.

٢٨- حرص النورسي في رسائله على إجلاء وبيان أن الحرية الحقيقية التي نادى بها القرآن الكريم، وجعلها مظهراً من مظاهر تكريم الله للإنسان، وقيمة من القيم الإنسانية الكبرى، تختلف اختلافاً جذرياً عن الحرية التي جاء بها الإنسان من خلال القوانين والمنظمات والهيئات المنادية لحقوق الإنسان.

ثم يعلل النورسي عن تأكيده أن الحرية مظهر من مظاهر تكريم الإنسان، بأن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة (مادة وروح) وهذا التميز الذي مبناه على الطبيعة الازدواجية في خلق هذا الكائن، فإنها تستلزم بطبيعتها الحرية، وأن يكون الشخص حراً لا يملكه أحد من الناس، وهذا ما أكد علية النورسي بقوله: " نحن أحرار منذ القدم (أي منذ خلق الله آدم) فقد ولدت حريتنا توأماً معنا " أي أنها ملازمة للإنسان منذ أن خلقه الله وأوجده خليفة عنه على سطح هذا الكون.

٢٩- يتلاقي النورسي مع العلماء القدامى والمعاصرين أن الإنسان الحر هو إنسان مسئول مسئولية كاملة لأي فعل ما، وأينما وجدت الحرية وجدت المسئولية.

فالمسئولية تلقي بعاتقها على الإنسان الحر لكي لا يتعدى بحريته على حرية الآخرين، وللتأكيد على أن الحرية في الفكر الاسلامى إنضباط وليست فوضى.

٣٠- يعالج النورسي بأكبر قدر من الشفافية والوضوح أخطر قضية يدور فيها البحث في الفكر الاسلامى، وأقيمت من أجلها المناظرات والمحاورات، بل وقامت باسمها مدارس فكرية، ألا وهى: مسألة القدر وصلتها بالحرية المسئولة للإنسان.

فالنورسي يقرر أنه لا تكليف بلا اختيار، والاختيار يقتضي الحرية والمسئولية، أما مسألة القدر فهو ليس للفرار من التكليف والمسئولية، بل هو لإنقاذ الإنسان من الفخر والغرور، ولهذا دخل ضمن مسائل الإيمان.

ويفرق النورسي بين رؤية صاحب الإيمان لمسألة القدر والجزء الاختياري، وبين رؤية صاحب الغفلة والضلالة، وذلك لبيان أن رؤية صاحب العقيدة الصحيحة لمسألة القدر هي أكثر وضوحاً واستيعاباً وفهماً، أما رؤية صاحب الغفلة فهي ضبابية وعقله المتسخ

بالإلحاد عاجز عن فهمها وإدراكها.

كما أننا نجد التوافق والتلاقي في وجهات النظر والرؤى والعرض والتحليل بين النورسي والمفكر " محمد الغزالي "

٣١- لقد عاصر النورسي فترة هي أخطر فترات التاريخ علي المجتمع التركي، إذ رأى أن أخطر منزلق تنحدر فيه الأمة إلي الهاوية، هو الجهل والانعدام المعرفي وتوسيع الهوة بين الدين الإسلامي وبين الغرب، مما أدى إلي اعتقادهم بأن مبادئ الإسلام تتناقض مع حقائق العلم والمعرفة.

هذا بالإضافة إلي ما قام به النظام بعد إلغاء الخلافة من طمس ومحو ما هو راسخ في عقول الأفراد من تعاليم الدين، وخاصة الناشئة، وتشكيكهم في وجود الله ومعرفته، ومسخ أي معرفة إيمانية.

لهذا وغيره رأى النورسي أن قضية المعرفة من أهم القضايا المركزية في رؤيته التجديدية، لأن معالجتها وصحوة العقل من كهفيته المطبقة، هي المدخل الطبيعي لإعادة التوازن إلى شخصية الأمة.

ومن خلال البحث في النصوص المستخلصة والمستخرجة من رسائل النور نستطيع أن نقف على مفهوم المعرفة عند النورسي، وهي لا تخرج عن معرفة الله ويجعل الإيمان ملاصقاً وملازماً لها، حيث أنه لا يتصور إيمان بدون معرفة أو معرفة بدون إيمان.

٣٢- يشترك النورسي مع الأئمة الذين نقدوا علم الكلام من أمثال أحمد بن حنبل والغزالى وابن رشد وابن تيمية وجلال الدين الرومى، وغيرهم من العلماء والمفكرين والصوفية، الذين شككوا في قيمة الكلام كمنهج يقود إلى معرفة الله المعرفة الكاملة.

كما أنه لا يرتضى بالمنهج الصوفي كطريق يقود إلى معرفة الله لأنها معرفة ناقصة ومبتورة.

أما موقفه من المعرفة الفلسفية: فأنه يرفض الأخذ بالمعرفة الفلسفية المادية التي لا تتوافق مع المعرفة القرآنية، ويدعوا إلى مشاهدة ثروة القرآن المعرفية وغناه الواسع لبناء نوع

من المركزية المعرفية الإسلامية.

ويؤكد النورسي أن هذا لا يلغي دور الفلسفة الحديثة في مضمار البناء المعرفي الحضاري، ولا يسد باب التلاقح الفكري والتفاعل المعرفي، لاسيماً تلك التي تتماس مع الحقيقة العلمية، وهو ما يجعلها تتلاقى مع تحفيزات القرآن فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

٣٣- يسير النورسي بتوافق تام مع ما قرره الإسلام من إمكان المعرفة، وتأكيده على وجود الأشياء والموجودات، وقبوله الشك المنهجي – في ضوء ما قرره الإسلام – الذي يبدأ به الإنسان من أجل الوصول إلى المعرفة الحقة.

ويؤكد النورسي على أن الذين ينكرون المعارف سقطوا في حضيض الحماقة والجهل والضلالة، وأساءوا إلى إنسانية الإنسان المكرم.

هذا بالإضافة إلى رفضه إلى الشك المطلق، الذي يؤدى بالإنسان إلى اليأس والقنوط، مما يجعله مسخاً لا حراك له في الحياة.

٣٤- يتلاقى النورسي مع معظم المفكرين والعلماء المسلمين في اتفاقهم على أن أهم مصادر المعرفة التي ينالها الإنسان هو " الوحي " الذي يكشف للإنسان حقائق ما كان ليصل إليها بدونه.

ويرى النورسي أن أفضل معراج للوصول والعروج إلى عرش الكمالات (وهو معرفة الله تعالى) هو المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، وهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله واشمله لبنى الإنسان.

وهو بهذا يدعو المسلمين والعقلية الفلسفية المسلمة إلى البحث والتنقيب في مخزون المعرفة القرآنية، بدلاً من الانغماس والسير في ركاب الفلسفة اليونانية دون غيرها، وإهمال ما لدينا من معرفة موحى بها من عند الله تخاطب العقل والقلب، وتنطلق من الكون والإنسان والربط بينهما في العديد من الآيات، إلى كونهما قد ركبا بشكل يجعلهما " مناظرين " لما يمكن أن يخبر به القرآن من أمور غيبية.

كما يلفت أنظارنا إلى طريقة المنهج القرآني في المعرفة، ومن أهمها ضرب الأمثال والتي استخدمها النورسي في رسائله، ويعترف بأنها نعمة أنعمها الله عليه وذلك لأنه بمنظار ضرب الأمثال يمكن: إظهار الحقائق البعيدة أنها قريبة جداً واختراق الأبعاد في مختلف الاتجاهات والحدود والحواجز... وغيرها مما اشتملت عليه ضرب الأمثال من دلالات وخصائص اقترنت بها، وهي تجمع بين القوة والتساند والتدرج والتواصل والشمول.

٣٥- من خلال البحث في رسائل النور، نرى أن النورسي يعطي الأنبياء - وهو يستعرض وظيفتهم - مهمة التنوير والمعرفة وهداية الناس إلى ما يحققون سعادة الدنيا والآخرة، وينظر إلى شخصية النبي المعنوية بأعتبارها شمس الكائنات، والسراج المنير للخلق أجمعين، لأنه يضيء الطريق للإنسانية من اجل الوصول بهم إلى معرفة الله.

كما يتجلى أن أبرز الوظائف التي يسندها النورسي للنبي هي أنه معرف وموصل إلى معرفة الله.

٣٦- يستعرض النورسي في رسائله الآيات الكونية لاشتمالها على البراهين الدالة على معرفة الله ووحدانيته، وأن الكون فتح أفاقاً أرحب ونوافذ أسطع إلى معرفة الله.

والنورسي ينوه إلى الكون بأعتباره كتاب صمداني، ينطوي على معاني عميقة وغزيرة، يجب التعرف عليها، ليستقي منها الإنسان ما يوصله إلى معرفة الله مع الحذر وعدم السقوط في مستنقع الكون وتأليه الطبيعة.

ولهذا فأن النورسي يوجه نظر الإنسان في كل مكان وزمان إلى استقراء الدليل الكوني بمنهج قرآني، وذلك لترابط القرآنين " المقروء والمنظور " وتسندهما وتعاونهما، في أن يفسر كل واحد منهما الأخر، لإيضاح الصورة المعرفية الصافية.

٣٧- يسير النورسي على حقيقة ما أقره الشرع وأتفق عليه الفلاسفة المسلمون باعتبار العقل مصدراً من مصادر المعرفة.

وتكتنز رسائل النور بمدح العقل، وكونه آية من آيات الله وأنه " أثمن نعمة " وهو " مفتاح الكنز " المعرفي، وعلامة تميز الإنسان عن سائر الكائنات... بل إن العقل هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها.

ويتجلى موقف النورسي من العقل بتأكيده على ما قرره الشرع وتوافق عليه علماء المسلمين جميعاً من ارتكاز التكليف على العقل.. وأن سر الامتحان وحكمة التكليف يقتضيان معاً فتح مجال الاختيار أمام العقل من دون سلب الإرادة منه.

كما يتفق النورسي مع الإمام الشاطبي ومحمد عبده ومحمد الغزالي على مسألة معقولية الحقائق الإسلامية، وهي أحد الأمور الجوهرية التي تفصل بين الإسلام والنصرانية في علاقة كل منهما بالمعرفة والمدنية.

كما يتلاقى النورسي مع غالبية العلماء والفلاسفة المسلمين (قديمهم وحديثهم) بتوافق وتلازم النقل والعقل وعدم معارضتهم، فالشرع يسير في طريق العقل... والعقل يسير بنور الشرع، فالعقل مع الشرع نور على نور.

ويؤكد النورسي بأنه إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلاً ويؤول النقل ولكنه ينفرد عن سابقيه بأنه حدد خصائص ومواصفات هذا العقل الذي له حق تأويل النقل، وهو ما نستطيع أن نسميه " العقل الإيماني " أو كما يسميه النورسي " العقل القرآني ".

٣٨- يرى النورسي أن في الإنسان استعداداً فطرياً للتعامل مع الإلهام بأعتباره مصدراً للمعرفة، ويتلاقى مع ابن سينا في تعريفه للإلهام.

ورغم أن النورسي يقر بالإلهام ويقدمه كمصدراً للمعرفة، فأنه يعرض ويتدم هذا المصدر برؤية تختلف اختلافاً جذرياً عما هي عليه عند الصوفية حيث أنه رأى أنهم قد شوهوا هذا المصدر بشطحاتهم وخلطهم.

وهذا ما دعاه لان يطرح في رسائله إطاراً محدداً وتصوراً مصوناً يحمي به هذا المصدر ليؤدى دوره كمصدر معرفي بعيداً عن الشطحات والمفاهيم المعكوسة، وذلك من خلال قوله: " الإلهامات الصادقة " وقوله " الإلهامات الغيبية " وذلك من أجل سد الطريق أمام شطحات بعض المتصوفة، الذين يشبهون إلهاماتهم بأنها وحى وكلام من عند الله، وهذا ما يتميز به النورسي.

ومن أجل الإيضاح وعدم الخلط فأنه يقوم ببيان الفرق بين الإلهام والوحي.

إذاً فرغم أن النورسي يؤكد على الإلهام كمصدر لمعرفة الخالق، إلا أنه لا يرتضي به كمصدر وهو ممزوج بالوساوس الشيطانية والمزالق والخلط المشين ولهذا أراد أن يوضح المسار الصحيح لهذا المصدر ليثمر الغاية الصحيحة المرجوة منه.

٣٩- يتضح مما سبق أن النورسي أراد أن يقيم عدة مرتكزات معرفية لكي تكون سلماً يرتقي عليه الإنسان المسلم إلى أعلى درجات الإيمان والمعرفة اليقينية، ولكي تصل به إلى الازدهار والتقدم المعنوي والحضاري الذي يليق به كإنسان مسلم.

ويبدو لي أن أهم هذه المرتكزات (المعرفية) وأبرزها هي ما يلي:-

- المرتكز المعرفي الكوني للاستخلاف، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالكون ودعوته إلى التأمل والسير في الأرض واستعمارها وتسخيرها في تحقيق الأمانة.

- المرتكز المعرفي التوحيدي، وذلك بربط الإنسان الخليفة بخالقه، وجعله متصلاً بالله سبحانه وتعالى.

- المرتكز المعرفي الحضاري للاستخلاف، وذلك بتوجيه الإنسان الخليفة إلى الجمع بين متطلبات الجسد والروح... والواقع والمثال.

- المرتكز المعرفي الأخروي، وذلك بربط حركة الإنسان الخليفة بالجزاء الأخروي المضمون في حالة استقامته على الطريقة، وحمله الأمانة على وجهها الصحيح، وهذا المرتكز هو الذي يقدم الدعم النفسي والمعنوي للإنسان، عندما يضمن له ثمرة جهاده وبحثه ونتيجة عمله للصالحات.

أسأل الله القبول والإخلاص في القول والعمل.

وعلى الله قصد السبيل، انه بالإجابة جدير، وهو على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الخاتم الأمين.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

مصادر البحث

١-القرآن الكريم.
٢-السنة النبوية.
مؤلفات النورسي:-
١-سعيد النورسي: الكلمات،ترجمة: إحسان قاسم، م١، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢-سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، م٢، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣-سعيد النورسي: اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم، م٣، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٤-سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، م٤، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٥-سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم، م٥، ط٤ سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٦-سعيد النورسي: المثنوى العربي النورى، ترجمة: إحسان قاسم، م٦، ط٣، سوزلر القاهرة، ٢٠٠٣م.
٧-سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، م٧، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٨-سعيد النورسي: صيقل الإسلام،ترجمة: إحسان قاسم،م٨، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٩-سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، م٩، ط٤، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٠- سعيد النورسي: مجموعة الموازنات بين الكفر والإيمان، ترجمة: إحسان قاسم، ط١ سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١١- سعيد النورسي: مجموعة عصا موسى، ترجمة: إحسان قاسم، ط٢، سوزلر، القاهرة ٢٠٠٥م.
١٢- سعيد النورسي:مرقاة السنة، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٠م.
١٣- سعيد النورسي:النوافذ، ترجمة: إحسان قاسم،ط١، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٤م.
١٤ - سعيد النورسي:مرشد أهل القرآن، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٤م.

١٤- سعيد النورسي: أنوار الحقيقة، ترجمة: إحسان قاسم،ط٢، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٦م.

مؤلفات عن النورسي:-

١-أورخان محمد علي:سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٣م.
٢-إحسان قاسم الصالحي:النورسي حياته وأثاره، ط٣، دار الوفاء بالمنصورة، ١٩٨٨م.
٣-ا.د/ أحمد عبد الرحيم السايح:بحوث في فكر النورسي،ط١، مركز الكتاب للنشر،١٩٩٩م.
٤-ا.د/ أحمد عبد الرحيم السايح،ا.د/ سامي عفيفي: قضايا معاصرة في فكر النورسي، ط١ سوزلر،القاهرة، ٢٠٠٥م.
٥-أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، ط١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.
٦-خديجة النبراوي: دور رسائل النور في يقظة الأمة،ط١، سوزلر، القاهرة،١٩٩٨م.
٧-خديجة النبراوي:مشكلات نفسية للإنسان، ط٢، سوزلر، القاهرة،٢٠٠٢م.
٨-د/ سمير محمد رجب: الفكر الأدبي والديني عند النورسي،ط٢، سوزلر،القاهرة،١٩٩٥م.
٩-طه عبد الرحمن: دراسات في رسائل النور " الإسلام على مفترق الطرق " تقديم ا.د/ إبراهيم أبو ربيع، ونقله إلى العربية: محمد فاضل، ط١، سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٠- د/ عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ط١، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٩م.
١١- د/ فرج محمد الوصيف: النورسي عصره ودعوته،ط١، دار نور الإسلام، المنصورة ١٩٩٦م.
١٢- د/ محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث،سوزلر، القاهرة،١٩٩٥ م.

أعمال مؤتمرات عن النورسي:-

١-ا.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: سعيد النورسي وأثره في ترسيخ الإيمان، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول،١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢-ا.د/ أحمد محمد الجلي: النورسي وتجديد دراسات العقيدة الإسلامية، أعمال مؤتمر

العولمة والأخلاق، المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
٣-د/ آزاد سعيد سمو: أسس علاقة العالم الإسلامي مع الغرب في ضوء رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م، نسل للطبع،٢٠٠٢م.
٤-أحمد بهجت: سعيد النورسي الرجل والدور، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي إستانبول،١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
٥-أديب إبراهيم الدباغ: هوامش على فكر النورسي وسيرته، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول،١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
٦-حسين عاشور: النورسي والدفاع الاستراتيجي، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول،١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
٧-ا.د/ زياد خليل الدغامين: عدالة المشروع الحضاري في المنظور النورسي، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول،٢٠٠٧م.
٨-ا.دة / زينب عفيفي: مفهوم العدالة عند النورسي، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول،٢٠٠٧م.
٩- د/ عادل محمود بدر: نظرة النورسي إلى عصر النهضة وعلم الكلام، أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
١٠- د/ عبد الوهاب بوخلخال: مباحث النبوة وعلاقتها بالإنسان من خلال رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م، نسل للطبع،٢٠٠٢م.
١١- د/ عبد الوهاب بوخلخال: موقف بديع الزمان من علم الكلام، أعمال مؤتمر العولمة الأخلاق، المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
١٢- ا.د/ عبد الودود شلبي: النورسي المصلح الذى تجسدت في دعوته كل حركات التجديد أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول،١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة ١٩٩٣م.
١٣- ا.د/ عمار جيدل: ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م، نسل للطبع،٢٠٠٢م.

١٤- ا.دة/ فردوس أبو المعاطي: العدالة والتصوف، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول،٢٠٠٧م.
١٥- د/ محمد الصمدى: تجديد التصوف عند النورسي،، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول،٢٠٠٧م.
١٦- ا.د/ محمد بتهيله: موقف النورسي من الحضارة الغربية، أعمال مؤتمر العولمة الأخلاق المؤتمر العالمي السادس، إستانبول.
١٧- محمد رشدى عبيد: ملامح تربوية في رسائل النور، أعمال مؤتمر النورسي وتجديد الفكر الإسلامي، إستانبول،١٩٩٢م، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
١٨- محمد رضوان خليل مجدلاوى: التوازن بين العقل والقلب في القرآن الكريم من منظور رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م نسل للطبع،٢٠٠٢م.
١٩- ا.د/ مصطفى فوضيل: مفهوم المعرفة من خلال رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م نسل للطبع،٢٠٠٢م.
٢٠- ا.د/ وهبة الزحيلي: الإنسان في القرآن الكريم بمنظور رسائل النور، أعمال مؤتمر النظرة القرآنية للإنسان، المؤتمر العالمي الخامس، ٢٠٠٠م نسل للطبع،٢٠٠٢م.

مراجع عامة:-

١- إبراهيم بن موسى اللخمي (الإمام أبى إسحاق الشاطبي): الموافقات، سلسلة التراث الهيئة المصرية للكتاب، إصدار مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.
٢- أبى عبد الله محمد بن إدريس (الشافعي): ديوان الشافعي، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
٣- إبراهيم أحمد البوقفي: الحوار لغة القرآن والسنة النبوية، دار الفكر العربي القاهرة،١٩٩٣م.
٤- أبو محمد بن سعيد البلاوى: التقليد المشروع منه والممنوع، دار الفرقان، باكوس، بدون.
٥- إتحاد طلاب جامعة أسيوط: رسالة المرأة المسلمة، تصدرها جامعة أسيوط، ١٩٨٦م.

٦- ا.د/ أحمد عبد الرحيم السايح: المعرفة في الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، دار المحمدية القاهرة، ١٩٨٠م.
٧- السيد سابق: فقه السنة، م٢، منار الدولية، القاهرة،١٩٩٧م.
٨- السيد يوسف: الإمام محمد عبده رائد الاجتهاد والتجديد في العصر الحديث، الهيئة المصرية للكتاب، سلسة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م.
٩- المعجم الوجيز: معجم اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٩٩٥م.
١٠- حنان سالم منصور شبايك:مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي السياسي، رسالة دكتوراه في الفلسفة إسلامية، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٥م.
١١- داود عبد الكريم زكريا:عناية الإسلام بالعلم والمعرفة، مقال بصحيفة الدعوة الإسلامية العدد رقم (١١٢٢).
١٢- د/ راجح عبد الرحمن الكردى: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ط١، مكتبة المؤيد الرياض، السعودية، ١٩٩٢م.
١٣- ا.دة/ زينب رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، ط١، دار المعارف القاهرة، ١٩٨٣م.
١٤- د/ سامي نصر لطيف: الحرية المسئولة في الفكر الفلسفي الإسلامي، الحرية الحديثة القاهرة، ١٩٧٧م.
١٥- ا.د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: حضارة الإسلام، طبعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٦- ا.د/ عاطف العراقي:الفلسفة العربية (مدخل نقدى)،ط٢، لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٧- ا.د/ عبد الودود شلبي: في مسألة السفور والحجاب، هدية مجلة الأزهر،١٤٠٥هـ.
١٨- د/ عبد الرحمن بن زيد الزبيدى: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ط١، مكتبة المؤيد، الرياض، السعودية،١٩٩٢م.
١٩- د/ عبد الله بن محمد القرني: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، دار عالم

الفوائد السعودية، ١٤١٩هـ.

٢٠- ا.د/ عزت قرني: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، عالم المعرفة، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٠م.

٢١- د/ ماجد فخرى: أبن رشد فيلسوف قرطبة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٢- ا.د/ محمد سيد طنطاوى: أدب الحوار في القرآن، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٣- ا.د/ محمد إبراهيم الشافعي: المسئولية والجزاء في القرآن الكريم، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ١٩٨٢م.

٢٤- ا.د/ محمد سيد أحمد المسير: التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، نهضة مصر القاهرة ٢٠٠٦م.

٢٥- د/ محمد ممدوح على محمد العربي: الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، الهيئة المصرية للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.

٢٦- د/ محمد سليم محمد غزوى: الحريات العامة في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، بدون.

٢٧- محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، دار ثابت، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٨- محمد عبد الفتاح عفيفي: طريق النجاة، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢٩- محمد سيد الاقرع: كيف تكون مسلماً، المختار الإسلامي، بدون.

٣٠- ا.د/ محمود حمدى زقزوق: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، طبعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣١- ا.د/ محمود عماره: من مظاهر الحضارة في الإسلام، التوحيد بشبين الكوم المنوفية ٢٠٠٦م.

٣٢- د/ منيب محمد ربيع: ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها، سلسلة البحوث الإسلامية، ١٩٨٣م.

فهرس